

قطاع الثقافة

الحب وسنينه

أحمد رجب

مطبوعات أخبار اليوم
قطاع الثقافة

الحب وسنينه

أحمد رجب

■ رئيس مجلس الإدارة :
إبـراهيم سـعده

دار اخبار اليوم
قطاع الثقافة

جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة
القاهرة

تليفون/ فاكس
٥٧٩٠٩٣٠

تصميم الغلاف : أشرف حسين

الإهداء

إلى الشيخ يوسف المأذون
الذى عقد قرانى
مع حبى الشديد جداً جداً
أحمد رجب

يبكي الرجل عند مولده بلا سبب
وبعد زواجه يعرف السـبب

أحمد رجب

فى انتظار الساعة العاشرة

من الصعب وصف الغيرة الهوجاء التى تعصف بالدكتورة كريمة ، كما يصعب ـ من جانب آخر ـ وصف الهدوء الذى يقابل به محمود هذه الغيرة ، إذ أنه يتمتع بكم هائل من برود الأعصاب واللامبالاة ، ويرى فيما تفعله زوجته أمراً طبيعياً ، فمن غباوة الرجل ـ فى نظره ـ أن يعتبر أن هناك فارقاً بين الزواج وبين الحادث المؤسف .

ولا ينبغى تبرئة محمود تماماً مما تنسبه إليه زوجته ، لكن من العسير أن يصدق إنسان أن محمود يغازل جميع صديقاتها فى وقت واحد ، حتى انتهى الأمر بكريمة إلى أنها لم يبق لها من الصديقات سوى صديقة واحدة وحيدة هى مرفت ، وهى فتاة فاتها قطار الزواج منذ زمن طويل ويطلق عليها محمود اسم « مرفس » لشدة الشبه بينها وبين بعض الحيوانات التى ترفس ، كما أنه يزعم فى المجالس أن مرفت ـ أو مرفس ـ هاربة من التجنيد .

وعندما تبرع محمود بجانب من وقته ليعمل مستشاراً قانونياً لإحدى جمعيات الخير ، اتهمته كريمة بأنه لم يفعل ذلك حباً فى الخير ، بل فعله حباً فى مدام رشيدة أجمل الأعضاء ، وترك محمود الجمعية ، لكن مدام رشيدة بقيت تهمة معلقة فوق رأسه .

ثم تنوعت أسماء السيدات اللاتى أصبحن تُهماً تطارد « محمود » واحدة بعد أخرى ابتداء من مدام فافى إحدى موكلاته ، ومروراً بزينات وليلى وأمينة وعين الحياة أعضاء النادى ، وانتهاء بالفنانة شكرية .

وما أن اقترب موعد سفر كريمة إلى مؤتمر طب الأطفال حتى اختفت مشكلة شكرية وبرزت مشكلة درية .

وعندما واجهت كريمة « محمود » باسم درية لأول مرة ، قال لها بهدوئه المعهود إنه لا يعرف امرأة بهذا الاسم ، واستمر يقلب صفحات الجريدة بين يديه .

- درية كانت خطيبتك .
- خطيبتى أنا ؟؟
- أترك هذه الجريدة ولا تتصنع البلاهة .
- لم أعرف فتاة اسمها درية .
- إنها الآن سيدة .
- حسنا . . لم أعرف امرأة اسمها الليدى درية .
- أنا لا أمزح .
- ولا أنا .
- ألم تحبها ذات يوم ؟
- لا أتذكر .
- لا تتذكر فتاة طلبت يدها ؟ نسيت درية قدرى ؟
- إسمها درية قدرى ؟
- كم يقتلنى أنك كاذب ولعوب وتتقن تصنع البراءة .
- لا يوجد رجل كامل .

بهذا الأسلوب من اللامبالاة ، واجه محمود التهمة ، وكالعادة ارتاح إلى هذا الاتهام الجديد ، فإن الاحتداد الساخن الذى تبديه كريمة يعقبه صلح قصير تتحول هى فيه إلى حبيبة رقيقة دافئة العواطف ، كأنما تحاول من جانبها استعادته من المرأة الجديدة التى تتهمه بأنه يحبها .

- لماذا تنقصك الشجاعة يا محمود ؟
- هناك رجال لا يملكون الشجاعة أمام الكوارث .
- تعتبرنى كارثة ؟
- أراك تحسنين استعمال ذكائك .
- لا تثرنى أرجوك .

- حبيبتى . . أريد أن أنام .
- ليس قبل أن تحدثنى عن درية . . هل تود أن أذكرك بها ؟!
- ذكرينى .
- الفتاة التى تشبه كلوديا كاردينالى .
- كلوديا من ؟
- الآن أستطيع أن أفسر إعجابك الدائم بنجمة السينما الايطالية . . لأنها تشبه درية طبعاً .
- لابد أن أكون مغفلا عندما أفسخ خطبتى لفتاة فى جمال كلوديا كاردينالى .

تأزم الموقف . فقد بكت كريمة لأنه لايزال يصر على امتداح جمال خطيبته السابقة ، وتركها محمود تبكى ، غير أنه قبل أن يتثاءب تثاؤب الرغبة فى النوم أكد لها فى هدوء أنه لم يعرف فى حياته فتاة اسمها درية كاردينالى .

- درية قدرى .
- درية قدرى . لا تغضبى . تصبحين على خير .



كانت السيارة تقترب من المطار عندما ألقى محمود نظرة على الساعة أمامه . بعد تسعين دقيقة سيصبح حراً . ستحلق الطائرة بكريمة إلى مؤتمر طب الأطفال فى ستوكهولم . من محاسن الصدف أن ستوكهولم هذه بعيدة جداً . فى الدور العلوى من الكرة الأرضية . ستغيب كريمة أسبوعاً ، والولد الصغير سوف تتكفل به جدته . ما أروع هذه الاجازة يا محمود ! وكم هى ساذجة كريمة هذه . لقد اتهمته ظلماً بأنه يعرف رشيدة وفاف وزينات وأمينة وليلى ، ولكنها لم تستطع أن تتوصل إلى اسم واحدة ممن يعرفهن فعلا كجلوريا عارضة الأزياء ، وتاتو ، وشوشيت . .

شوشيت ! سوف يلتقى بها الليلة فى مطعم دوشس الشاعرى ، هناك على الطرف الصحراوى من حافة المدينة . فهو رتب كل شىء

حتى لا تضيع منه دقيقة واحدة من أيام الحرية الجميلة .. لقد سألته شوشيت عن الفستان الذى يحب أن يراها به . كل الفساتين جميلة عليك يا شوشيت .

ما رأيك فى أن ألبس الفستان الموسلين الكحلى يا محمود ؟

فعلا هذا الفستان . . .

- فجأة قطع خواطره صوت الدكتورة كريمة :

- اعتن بنفسك يا محمود .

وهز محمود رأسه : لا تخشى شيئاً .. سأعتنى بنفسى كثيراً .

- سيتولى عم حسنين إعداد مائدة الغداء كما سيجهز لك وجبة العشاء على المائدة قبل أن ينصرف .. ولقد ملأت لك الثلاجتين الكبيرة والصغيرة بزجاجات عصير البرتقال .. عصرته لك بنفسى .. أعرف أنك تفضل شربه فى المساء منذ أن أقلعت عن الخمر ..

- أشكرك .

كانت كريمة قد اقتربت من باب صالة المغادرة وحانت لحظة الوداع . أمسك محمود بيدها ولثمها ثم عانقها وقد بدا على وجهه تأثر عظيم ..

وضغطت على يده باسمة تقول فى نبرة بين الجد والمزاح :

- هل ستحاول خيانتى ؟

- سأحاول ألا أفعل ذلك .

- كن جاداً . أراك غير متأثر لفراقى .

- بل متأثر جداً .. ألا ترين وجهى ؟

- يا حبيبى لم أكن أريد السفر . أنت بدونى طفل خائب .

- أعرف ذلك .

وابتعدت عنه ، وظل يلوح لها بيده حتى اختفت .

★ ★ ★

وقف محمود يرتدى ملابسه فى المساء تراوده غبطة خفيفة أقرب إلى مشاعر الولد المراهق . وسعد كثيراً وهذه المشاعر تدغدغ كيانه . إنه لا يتذكر الآن من الذى قال إن مقاومة الإغراء تشعر الإنسان بسعادة

كبيرة ، ولكن الذى لاشك فيه أن الاستسلام للإغراء يشعر الإنسان بسعادة أكبر . لابد أن الذى قالها كان مراهقاً أرعن كحاله الآن .

أطلق صفيراً مرحاً وهو ينظر إلى ساعته . لابد أن شوشيت قد انتهت من لبسها وزينتها الآن . وأدار قرص التليفون .
ـ مدام شوشيت مريضة يا سيدى .
ـ ماذا تقولين ؟
ـ حرارتها تقترب من الأربعين ، وقال الطبيب الذى عادها إنها إنفلونزا حادة ، وهى نائمة الآن يا سيدى .
ما هذه المهزلة ؟ هل هذا وقت إنفلونزا يا عالم ؟ إن أيام الحرية المعدودات لا ينبغى أن تضيع منها دقيقة واحدة .
واتجه نحو المكتبة . وعلى المكتب وجد ورقة كتبت فيها كريمة ما رددته له فى المطار عن عم حسنين الذى سوف يطعمه فى الظهيرة ويجهز له وجبة العشاء ، وعن البرتقال الذى عصرته له ، ثم إرشادات : إذا قطع زر من أزرار قميص أو غيره فوالدتها سوف تتكفل بهذا العمل . إغلاق اسطوانة البوتاجاز فى الحمام قبل النوم . . إلى آخره . . . إلى آخره .
طيبة والله كريمة يا محمود . رغم مظاهرات الغيرة التى تعكر عليك صفو حياتك ، إلا أنها صافية القلب حسنة الطوية ، ولعل ما يغفر لها كثيراً هو حبها الجارف لك . . ما الذى يجعلك تفكر فى كريمة الآن ؟ المطلوب منك أن تفكر الآن أين ستذهب الليلة . المشكلة أن جلوريا فى رحلة عرض أزياء بالخارج ، وتاتو فى البحر الأحمر وتعود غداً .
وأدار قرص التليفون . .
ـ مدام زازا موجودة ؟
ـ المدام فى المستشفى يا فندم .
ـ خيراً . ماذا حدث ؟
ـ أصابها انهيار شديد لأن والدها البقية فى حياتك .
ـ حياتك الباقية .

للأسف . هناك رجال يموتون فى الوقت غير المناسب .

وضع محمود سماعة التليفون وقد أصابته خيبة أمل فادحة . وفى خطى متثاقلة اتجه نحو المطبخ وصب لنفسه كوباً من عصير البرتقال ، ومضى شارد الذهن نحو غرفة النوم يفكر فى مصير هذه الليلة من ليالى الحرية التى ذهبت هدراً .

تمدد فوق الفراش فى ملل واضح يحتسى كوب البرتقال على مهل ، ووقعت عيناه على أوراق مطوية بجانب منضدة الزينة . . لابد أنها سقطت من كريمة ، ونهض وإلتقط الأوراق ، وفرد الورقة الأولى : إنها نشرة طبية عن دواء جديد ، الورقة الثانية إيصال استلام مسجل لإصلاحه ، الورقة الثالثة من دفتر روشتات كريمة مكتوب فيها بخطها : درية قدرى خطيبة محمود السابقة تعيش بمفردها بعد انفصالها عن زوجها بالطلاق . قالت لى سعاد : إن درية سيدة جميلة جداً جداً . فى الثانية والثلاثين من عمرها ، فارعة القوام ، خمرية البشرة ، خضراء العينين . قالت لى سعاد : إن تقاطيعها تشبه تقاطيع كلوديا كاردينالى على أجمل .

من تكون سعاد هذه ؟؟ هذا لا يهم الآن . فى ركن الورقة كتبت كريمة رقم تليفون هل هو رقم تليفون درية ؟؟

ولم يستطع محمود أن يقاوم . مد يده إلى قرص التليفون . وجاء صوت دافىء خفيض يمس أذنه مساً :

- آلو .
- مساء الخير يا فندم .
- مساء الخير .
- هل هذا منزل مدام درية قدرى .
- أنا درية قدرى .

وقدم إليها محمود نفسه . قال لها ضاحكاً إنها تتسبب له فى مشكلة عائلية ، إذ تتصور زوجته أنها كانت مخطوبة له قبل زواجه منها ، وضحكت درية ثم قالت له : إنها فعلا كانت مخطوبة لشاب اسمه محمود عزت .

ـ أنا ؟؟

وضحكت درية .. الصراحة أنت أكثر وسامة من محمود عزت الذى كان خطيبى .

ـ هل رأيتنى ؟

ـ مرة واحدة فى حفل استقبال .. أشاروا إليك وقالوا لى هذا هو محمود عزت الذى يحمل اسم خطيبك السابق ، فقلت لهم : لا .. هذا أفضل كثيراً من محمود .

ـ أترين ذلك ؟

ـ مؤكد .

كانت هذه الكلمات الرقيقة والجريئة من جانبها كفيلة بأن تسعد محمود كثيراً .. وتعوضه عن هذه الليلة الضائعة . واستأذنها فى أن يتصل بها فى اليوم التالى فرحبت . ووضع السماعة وهو مأخوذ بهذه المفاجأة السعيدة التى لم يكن يتوقعها . درية قدرى أبدت إعجابها به ؟ درية قدرى فارعة القوام ، خمرية البشرة ، خضراء العينين ، وتشبه معبودته كلوديا كاردينالى على أجمل ؟ ما هذه المفاجأة الخرافية ؟

وأحس محمود بخدر لذيذ يسرى فى كيانه ، وخلع ملابسه ونام فى الأحلام السعيدة .

فى اليوم التالى اتصل بها من مكتبه ، وكان واضحاً أنها فى عجلة من أمرها ، فرجته أن يتصل بها فى العاشرة ليلا لأنها مشغولة ، وبعد حديث قصير عادت تؤكد أنها فى انتظار تليفونه .

وأسرع محمود إلى البيت فى انتظار الساعة العاشرة .. وقال لها إنه ـ طوال حياته ـ لم ينتظر الساعة العاشرة بهذا الشوق ، ربما ضايقه قليلا أنها كانت على شىء من التحفظ وأقل انطلاقاً من الأمس ، لكن ما لبث ضيقه أن تبدد عندما سألته ماذا يحتسى ؟ فلما قال لها إنه يشرب عصير البرتقال أظهرت ارتياحاً وقالت : إنها لا تحب صداقة الرجل الذى يشرب الخمر .

صداقة ؟؟ هذه بشرى رائعة .

فى الليلة الرابعة نسى محمود تماماً أمر شوشيت وجلوريا وزازا وأية

امرأة فى الدنيا ، فقد وعدته درية باللقاء عند أول فرصة تسنح لها . ربما غداً . ربما بعد غد . فإنها تعانى بعض الظروف المعاكسة وسوف تحدثه عنها بالتفصيل عند اللقاء .

- هل أحضرت كأسك ؟

- عصير البرتقال بجوارى .

- وفى يدى عصير الليمون .. فلنشرب نخب صداقتنا الجميلة .

فى الليلة الخامسة همست فى أذنه على استحياء بأول اعتراف لها بحبه .

وراح يبثها غرامه ، ثم شربا نخب الحب .

واكتشف محمود أن هذه السيدة كأنما تطهره من خطاياه . أصبحت كلماتها وهمساتها كل ليلة خدراً يسرى فى كيانه وتسلمه لنوم سعيد زاخر بالأحلام الحلوة .

* * *

عندما عادت كريمة من المؤتمر أبلغتها صديقتها مرفت أنها قامت بدور درية قدرى خير قيام ، وأن « محمود » لم يسهر فى الخارج ليلة واحدة ، وكان يأوى إلى فراشه مبكراً بفعل المادة المنومة التى وضعتها كريمة فى عصير البرتقال .



هولاكو

اعتادت زوجتى عايدة أن تقتنى الكلاب الصغيرة المدللة ، لكن بعد انتقالنا من ضاحية المعادى رأت أن الفيللا فى حاجة إلى كلب حراسة ، فجاءت بهذا الكلب من فصيلة الوولف واختارت له اسم هولاكو حتى يوقع الرعب فى أوصال أى لص يحاول التسلل إلى الفيللا ، فقد افترضت عايدة أن الكلب سوف ينطق فى وجه اللص قائلا : أنا هولاكو ، كما افترضت أن اللص عنده خلفية ثقافية عن الدور الدموى الذى قام به هولاكو قائد التتار .

لكن الكلب لم يوقع الرعب إلا فى قلبى أنا !

فإننى أموت رعباً من الكلاب منذ أن عقرنى كلب فى صباى . وعندما أحببت عايدة أيقنت أن الحب يفعل المعجزات ، فقد روضنى الحب على معايشة كلابها الصغيرة المدللة ، ولما جئنا إلى هذا المسكن الجديد ، حاولت زوجتى أن تختبر رد الفعل عند كلبها الصغير « بامبو » إذا دخل الحديقة لص فكان الكلب يسرع إلى الاختباء فى صمت اذا عبر باب الفيللا شخص غريب ، ثم يطل بنصف رأسه يدعونا إلى الاختباء معه تحت الكنبة تجنباً للخطر القادم .

وشاهدت فى البيت بعد ذلك كلباً صغيراً ، فلم يلفت ذلك نظرى ، ولم أتوقع أن يغدو هذا الجرو الوادع ذئباً ضخماً رهيب الأنياب . . اسمه هولاكو !

ورغم كل المساوىء التى أصابتنى من هولاكو ، فإن كل بلاء لا يخلو ـ على ضره ـ من ميزة ، فقد كفت عايدة عن الدخول معى فى مناقشات

استفزازية عما قيل من أننى أعرف سيدة اسمها مسز نورما كانت زميلة دراستى فى أمريكا . . وجاءت إلى مصر تعد رسالة علمية . انتهى هذا الموضوع ؛ وأصبح موضوع خلافاتنا الدائم : هولاكو . وكانت أول أزمة حادة بيننا عندما قرر الطبيب أن هولاكو يعانى اكتئاباً ، وقالت عايدة بصراحة ـ وبصوت مختنق ـ إننى السبب فى تعاسة الكلب .

ـ ماذا يا عايدة ؟

ـ لأن هولاكو لا يشعر بالأمان فى وجودك .

ـ هل هو خائف أن أهجم عليه وأعضه .

ـ بالضبط .

ـ ماذا تقولين ؟؟

ـ قال الطبيب أن الحيوانات كالأطفال ، عندها إحساس قوى بما إذا كانت مرغوبة أو غير مرغوبة ، والحيوان المهاجم عنده رادار داخلى يكشف له عن الإنسان الخائف أمامه . هنا يقف الحيوان فى تحفز لأنه يعرف أن خوف الإنسان قد يدفعه إلى أن يبدأ الهجوم ، لهذا يزمجر هولاكو كلما رآك ، ولهذا أيضاً مزق أمس بنطلونك . مسكين هولاكو .

ـ الحمد لله أننى لم أكن داخل البنطلون . . بودى لو أعرف لماذا بدأ يمزق ثيابى ؟

ـ معذور طبعاً المسكين .

ـ كان الله فى عونه .

ـ كل هذا تنفيس عما يحس به ، ولابد أن تتخلص من خوفك منه حتى يشعر الكلب بالأمان . لابد من تطبيع العلاقات بينك وبين الكلب .

أجدت الدفاع عن نفسى أمام عايدة ، وأقسمت لها أننى لا أعتنق أى سياسة تفرقة عنصرية بيني وبين الكلاب ، وأنني والكلب سواء فى البيت ، وإذا كان يطالب بامتيازات خاصة فإننى على استعداد لكى أفعل أى شىء من أجل ترضيته .

فى اليوم التالى جلست مع عايدة لنبحث فى كيفية تطبيع العلاقات ، وعندما استدعت عايدة الكلب لتتفهم وجهة نظره ، تبين لى ما لم أكن أعرفه ، فقد كانت عايدة تصحب الكلب وهو صغير إلى النادى حيث

ذاع صيت مدرب شهدوا له بالبراعة فى تدريب هذا النوع ، وتم تدريب هولاكو باللغة الفرنسية التى لا يعرف المدرب سواها ، من هنا فشلت المحاولات التى كنت أبذلها فى البداية للتودد إلى الكلب من بعيد ، إذ هو جاهل بلغتى العربية جهلى بلغته الفرنسية .

ولما أمرت عايدة هولاكو أن يجلس بهدوء وبلا زمجرة ـ كعادته عندما يلقانى ـ استجاب للأمر وقبع جالساً ، وقد رأت عايدة أن تشرح لى لغة الكلاب حتى تيسر سبل التفاهم بينى وبين الكلب ، فعندما قبع هولاكو أمامنا مرتخى الأذنين كان يعبر ـ بحركة أذنية ـ عن قلقه وأسفه لوجودى ، وذيل الكلب مهم فى فهم حالاته النفسية ، فإذا حرك ذيله بسرعة وبشكل أفقى فهذا يعنى أنه سعيد ، أما إذا وقف بذيل مرفوع إلى أعلى فهذا معناه التحفز للهجوم ، وعن النباح فالكلب لا ينبح إلا إذا أحس بخطر يقترب ، وقد ينبح مللا من الوحدة أو رداً على نباحٍ ، ولم أشأ أن أستفسر من عايدة عن المقامات الموسيقية التى تميز نباحاً عن آخر وتقلبه من سيكاه إلى نهاوند ، لكننى فهمت منها أن الكلب يغير نغمة النباح ويحولها إلى عواء إذا استشعر الفزع أو الألم ، وقد أدهشنى أن تقول عايدة إنها سمعت هولاكو ذات ليلة يعوى فزعاً منى .

ـ منى أنا ؟؟

ـ هزت رأسها فى أسف لتقول : أنت لا تعرف كم يعانى هذا الكلب المسكين منك ، المهم الآن أن تبدأ معه صفحة جديدة ، وأحمله الآن على أن يعتذر لك عما فعل ولو أن هذا الاعتذار سيشكل ضغطاً على أعصابه .

وأمرته عايدة أن يعتذر لى ، فتقدم هولاكو نحوى مطأطأ الرأس بينما مفاصله ترتعد ، وحك رأسه فى ساقى ، ثم لعق قدمى لعقتين واستدار عائداً إلى جوارها ، وقد رأت زوجتى أن كرم الأخلاق الذى أبداه هولاكو يبشر بالخير ، فشجعها ذلك على أن تقوم بمهمة الترجمة بينى وبين الكلب ، فكان هولاكو ينظر نحوها طويلا ، ثم ينظر نحوى بمنتهى القرف ، وفى النهاية مضى خارجا دون أن يصدر منها أمر بأن

ينصرف ، وآثرت عايدة ألا تلومه على هذا التصرف حتى لا تضغط أكثر على أعصابه الرهيفة المرهقة .

بعد يومين من جلسة تطبيع العلاقات بيني وبين الكلب ، خرجت أمارس رياضة المشى فى شوارع المعادى . لم أكن قد ابتعدت كثيراً عن البيت واكتشفت أن هولاكو يسير على مقربة منى . توقف . . فتوقفت ورجوته بأدب شديد أن يعود إلى البيت . نظرت إلى ذيله لأعرف الرد . كان موقفه غير ودى على أى حال ، فالذيل مرفوع إلى أعلى ولكن بغير زمجرة ، حاولت التماسك أمامه حتى لا أشعره أننى خائف منه ، وإمعاناً فى إظهار التماسك ، أطلقت ضحكة عصبية بلهاء ، لكنه ظل على حاله يحملق فىَّ لاهثاً ، فأعدت إطلاق الضحكة المفتعلة لأطمئن هولاكو أننى لستَ خائفاً ولن أنوى الهجوم عليه . وتكررت ضحكاتى دون جدوى . وترامى إلى سمعى صوت من أحد البيوت خلفى يقول : ماذا جرى فى الدنيا . . رجل يبدو عليه الاحترام ولكنه مجنون . لا حول ولا قوة إلا بالله .

كان أفضل الحلول لهذا الموقف هو أن أعود إلى البيت ، وفوجئت بأنه يسبقنى فى الطريق إلى الفيللا ثم يتوقف بين حين وآخر وهو يهز ذيله هزة الود ! ما الذى حدث ؟ لعله حريص على وجودى فى البيت من باب المحبة وعدم احتمال الفراق . من يدرى ؟

غير أن عايدة انزعجت بشدة عندما علمت أن هولاكو ترك حراسة الفيللا وخرج معى ، فأسرعت تتصل بالمدرب تليفونياً لتطلعه ـ كما قالت ـ على هذا الخطأ الجسيم الذى ارتكبه الكلب ، فضرب لها موعداً لإحضاره .

وفى اليوم التالى كنت مدعواً فى تمام الساعة الثامنة مساء إلى الحفل الذى سوف يحضره الوزير ويسلم فيه الأوسمة التى تقرر منحها للخبراء الأجانب الثلاثة الذين عملوا معى . وجاءت جلستى إلى جوار الوزير لكى أقوم بالترجمة بينه وبين الخبراء . كنت أرتدى حلة سوداء أنيقة وكان مظهرى كله طيباً ومشرفاً ، إلا أننى قدرت وقوع البلاء الذى لم يكن هناك بد من وقوعه ، فقد كان ذيل البنطلون يرتفع إلى منتصف

ساقى بسبب الجلسة فى المقعد المريح ، وما لبث الوزير أن سألنى فى دهشة : ماذا أرى يا دكتور عبدالغفار ؟

ماذا أقول للوزير ؟ هل أقول له إننى ألبس الحذاء الأسود بلا جوارب لأن هولاكو فتك بجميع جواربى اليوم وحولها إلى كنافة ؟؟ هل أقول له إننى ظللت حتى اللحظات الأخيرة أنتظر أخى يأتى لى بجورب من عنده فلم يسعفه الوقت ؟

متوقعاً هذا السؤال من الوزير أو غيره ، زعمت له أننى مصاب بحساسية شديدة ضد الجوارب تجعل أقدامى تلتهب بشدة .

ـ ولماذا لا تلبس جوارب قطنية ؟

ـ بل أنا لا ألبس إلا جوارب قطنية .

لست أدرى لماذا اهتم الوزير اهتماماً خاصاً بأمر أقدامى العارية المصابة بالحساسية ، وعندما أشار إلى بالذهاب إلى طبيب من أصدقائه قلت له انى تحت العلاج فعلا . ولقد كلفتنى هذه الأكذوبة بعد ذلك أننى فى كل مرة يستدعينى فيها الوزير إلى مكتبه أخلع جوربى فى السيارة .

كانت حادثة الجوارب وما ترتب عليها منعطفاً هاماً فى موقف عايدة ، فقد أبدت ـ لأول مرة ـ أسفها لهذا المسلك الشائن من الكلب ، وهدأت من ثائرتى وهى تعدنى أن هولاكو سوف يعاد إلى المدرب لتعريفه بمهماته وتقويم سلوكه نحوى ، ومن جانبى وجدت الطريق مهيأة لطرد الكلب من البيت ، وأرجأت اعلان هذا القرار .

لكن الكلب عاد من عند المدرب لألاحظ تحسناً ملموساً فى سلوكه نحوى ، ونزولا على رغبة عايدة بدأت أتلقى منها دروساً صغيرة فى اللغة الفرنسية تمكننى من كسب وده ، واستطعت أن أحفظ بالفرنسية : كيف حالك يا هولاكو ـ كم أنت جيل يا مونشير ـ خذ هذه القطعة من الشيكولاته . . يا شيرى .

وقد أسفرت هذه الدروس عن صداقة بينى وبين هولاكو ، صحيح أنها ليست حميمة ، ولكن لا بأس بها ، فمع رياضة المشى التى كنت أمارسها يومياً مثلا ، كنت ألمح هولاكو يودعنى حتى ناصية الشارع ،

وأعود لأجده منتظراً فى نفس المكان .

وذات ليلة تأخرت فى العودة حتى التاسعة فرأيت هولاكو لايزال واقفاً فى انتظارى ، فقدرت له هذه المودة ، ورويت لعايدة ـ بفرح ـ هذه المشاعر الطيبة من جانب هولاكو ، فقالت لى : غداً ستعرف كم هو محب ووفى ، ثم أردفت تسأل : أين كنت حتى هذه الساعة ؟

قلت لها : أمشى . لقد بذلت اليوم جهداً لأمشى أربع ساعات ، وغداً أنوى أن أضرب الرقم القياسى فأمشى من الخامسة حتى العاشرة .

فى اليوم التالى حدثت نورما بالتليفون وقلت لها : اليوم سوف يدوم لقاؤنا خمس ساعات بمناسبة عيد ميلادك . . كل سنة وأنت طيبة . . إن الدينا لا تسعنى لأننى انتقلت إلى المعادى لأكون بجوارك ومعك كل يوم . . وفى رياضة المشى سبع فوائد .

وضحكنا !

★ ★ ★

أطفأت نورما شموع عيد الميلاد ثم اتجهت إلى الباب لتستطلع الطارق ، وما إن فتحته حتى دخل هولاكو ومعه عايدة .

طوال هذه الشهور وهو يتدرب على اقتفاء أثرى حتى قاد زوجتى إلى ما كانت تسعى إليه .



الكراسي

حبس المشاهدون أنفسهم فى قاعة السينما وهم يتابعون البطل والبطلة فى موقف وداع قهرى ومؤثر ، وبينما انحدرت الدموع على خدود البطلة وهى تتجه نحو الباب الخارجى ، اعتدلت زوجتى هدى فى مقعدها وهى تشهق : غير معقول !!

ولم يكن المشهد العاطفى على الشاشة هو الذى بهرها ، بل كان سبب انبهارها كرسى ستيل مرت به بطلة الفيلم وهى فى طريقها إلى الباب ، ولأن هدى علمتنى كيف أستمتع بالكراسى الستيل ، فقد وجدت نفسى أشاركها الإعجاب بذلك الكرسى الذى اتسم بدقة الزخارف والنقوش المحفورة والبارزة .

إن هدى مولعة إلى حد الجنون باقتناء الكراسى ، وعندما وضعت شقيقتها الصغرى مولودها تمنت هدى لو أن أختها سمت المولود « كرسى » فإن بيتنا ملىء بالكراسى من كل عصر ابتداء من الطراز القوطى إلى لوى كتورز إلى ستيوارت ستايل إلى كوين آن .

إن « هول » الفيللا كله كراسى ، وفى الصالونات كراسى ، وفى القاعة العلوية كراسى ، وفى الممرات كراسى ، وعلى السلم الداخلى كراسى . ورغم أن هدى خبيرة بكل طراز الكراسى فإن هذا الكرسى الذى مرت به بطلة الفيلم كان جديداً تماماً على عيونها .

وبينما كان الجالسون من حولنا مندمجين فى مأساة البطل والبطلة ، حدثتنى هدى عن اعتقادها بأن هذا الكرسى يعود إلى عصر « الرينسانس » وأن الطابع الفلورنسى يغلب عليه .

وارتفع صوت رجل قليل الذوق من خلفنا يطلب الصمت والهدوء لمتابعة الفيلم وتبعه آخرون يعلنون تذمرهم ، واستمرت هدى تحكى عن وجوب مشاهدة هذا الكرسى فى الفيلم مرة أخرى على أن يكون معنا خبير الديكور والتحف برهان ، ولما بدا واضحاً أن الجالسين من حولنا جاهلون تماماً بأمر الكراسى الستيل والاستمتاع بها ، فقد آثرنا الانصراف عائدين إلى البيت .

والحق أن الإقامة فى بيتنا متعة رائعة لا يحسها أصدقاؤنا ، لهذا فنحن لا ندعو هؤلاء الأصدقاء إلى البيت ونؤثر أن تكون دعواتنا ومآدبنا لهم فى النادى ، ذلك أن الحرص على ثروتنا الكرسية يملى علينا ذلك .

ففى آخر مرة دعونا فيها أصدقاء إلى البيت ـ وكانت منذ سنوات ـ حدثت أمور مؤسفة ، إذ كاد أحد أصدقائنا أن يسكب القهوة على المقعد الوثير فى الصالون الكبير الذى يضم طقماً تاريخياً كان يمتلكه الأمير الألمانى كونراد الرابع من أسرة هوهنشتوفن ، وفى نفس تلك الليلة جلست صديقة بدينة على كرسى نادر من طراز شارل الثانى فسمعنا الكرسى يصدر أنيناً وتكتكة ، ونقلناه إثر ذلك الحادث المؤسف إلى ورشة الدكتور برهان لترميمه .

من هنا آلينا على أنفسنا أن نحافظ على هذه الثروة التاريخية التى اقتنتها زوجتى من الدكتور برهان ، وهو رجل من أعظم الملمين بتاريخ الأثاث والخبرة الواسعة بالتحف . بل إن هدى زوجتى ـ حرصاً منها على هذه الثروة التاريخية ـ لا تسمح لى أن أجلس على أى كرسى أو كنبة فى البيت ، بل ولا أنا أسمح لنفسى بذلك ، وأعطيها حق تنبيهى عندما أسهو أجلس على كرسى ، والكرسى الوحيد المسموح لى بالجلوس عليه هو كرسى من القطيفة بالطابق العلوى ليست له قيمة جمالية أو تاريخية ، وعندما نزلت شقيقة زوجتى ضيفة علينا لعدة أيام تنازلت لها ـ بناء على رغبة زوجتى ـ عن هذا الكرسى القطيفة المخصص لى ، وقضيت تلك الأيام واقفاً على أقدامى فى البيت قبل النوم وبعده .

★ ★ ★

عندما عدنا من السينما ، أسرعت هدى تحدث الدكتور برهان عن الكرسى الذى شاهدته فى الفيلم ، ثم تطرق الحديث إلى مدام دولت .

ولقد بدأت الحرب بين مدام دولت وبين زوجتى عندما عرضت هدى عليها أن تشترى منها كرسياً أثرياً كانت قد ابتاعته من الدكتور برهان ، وهو كرسى انتشر فى القرن السادس عشر وعرف باسم « كاكيتوار » أو كرسى النميمة ، حيث كانت نساء المجتمع الفرنسى يجلسن فى مثل هذا الكرسى للنم ومسك سيرة الصديقات الغائبات ، غير أن مدام دولت رفضت بيع كرسى النميمة بأى ثمن .

وقد غاظ زوجتى كثيراً أن مدام دولت كانت تجلس فى هذا الكرسى وتتناولها بالنميمة ، فزعمت أن هدى لا تفهم فى الديكور أو التحف أو الكراسى ، وروت أن زوجتى دخلت مسرحية الكراسى ليوجين إيونسكو وهى تعتقد أنها ستشاهد صالة مزادات ، ثم اتضح أنها مسرحية عبثية لا علاقة لها بلوى كانز أو لوى سيز ، وقالت مدام دولت إن هدى اتصلت تليفونياً ذات يوم بالفنان الراحل يوسف وهبى لتسأله عن طراز الكرسى الذى يظهر فى مسرحية كرسى الاعتراف ، وقالت مدام دولت إن زوجتى طالبتنى بضرورة القيام برحلة إلى الولايات المتحدة لتشاهد الكرسى الكهربائى .

وازداد الأمر بين الاثنتين سوءاً عندما اشتدت حدة المنافسة بينهما فى أحد المزادات على كرسى من الطراز الدير كتوارى الذى ظهر بعد الثورة الفرنسية ، وعندما رسا المزاد على مدام دولت عاتبتنى زوجتى وهى تبكى بحرقة ، فلو كنت قد بعت فدانين من أرضى لتيسرت لها السيولة النقدية لكى تنافس دولت ، ولكننى بخيل عليها ومقتر ، ولم أبع من الأفدنة السبعة الباقية غير فدان واحد استعداداً لذلك المزاد .

غير أن الدكتور برهان استطاع أن يهدىء من جموح انفعالها فقد قلل من شأن هذا الكرسى الدير كتوارى وأكد لها أنه شخصياً يرفض أن يدفع فى ذلك الكرسى درهماً واحداً ، ثم أسعدها كثيراً عندما قال إنه يعد لها مفاجأة سعيدة سوف تموت معها مدام دولت غيظاً وكمداً .

★ ★ ★

فى ذلك الحديث التليفونى بين هدى والدكتور برهان ، قال لها إن المفاجأة جاهزة ، ولكنه رفض أن يكشف عنها .. فالحديث عن هذه المفاجأة يحتاج إلى جلسة هادئة تزن فيها الأمور ، لأن المفاجأة تقتضى الكثير من الحيطة والحذر .

واتفقنا على اللقاء فى النادى حيث تتوافر المقاعد التى يمكننا الجلوس عليها بعكس بيتنا الملىء بالكراسى . وفى النادى بدأ الدكتور برهان حديثه عن سرير لويس الرابع عشر ، وكيف أن هذا الملك ـ الذى يحمل السرير اسمه ـ كان يبدأ يومه بحفل يتجمع فيه الأمراء وكبار رجال البلاط للقيام بمراسم حفل استيقاظ الملك ، فيقوم أمير بإزاحة ستار السرير ، وآخر يحمل له الرداء الملكى ، وثالث يمسك بالخف الذى سيضعه فى قدميه ورابع يتقدم ..

هنا قاطعته هدى فى صبر نافد : مفهوم مفهوم .. ماذا عن المفاجأة ؟

ولكن الدكتور برهان استمر فى حديثه عن سرير لوى كاتورز ، وكيف أن هذا السرير قطعة من التاريخ ، إذ كان الملك يباشر سلطاته من هذا السرير فى الساعات الأولى من اليوم ..

وقاطعته هدى : طبعاً .. ولكن ما المفاجأة ؟

وواصل الدكتور برهان : وأجمل أن يقتنى الإنسان تحفة تحمل عطر التاريخ .. أنت يا سيدتى جربت هذا الإحساس عندما بعتك صالون الأمير كونراد هوهنشتوفن وكرسى مكتب سير مارشال هول ، وكرسى الكونتيسة كورشينى الذى صنع خصيصاً لتجلس عليه وتدلل كلبها الشيهواهو !

وقالت هدى : أعرف ذلك كله يا دكتور .. لكن خبرنى .. كرسى من الذى تريد أن تفاجئنى به ؟ قال الدكتور برهان : كلا .. إنه ليس كرسياً هذه المرة .. إنه شىء خطير .. هيا بنا .

صحبنا الدكتور برهان إلى معرض الأثاث الذى يمتلكه ، وأضاء الأنوار ، ثم قادنا عبر ممر طويل إلى صالة خاصة يحتفظ فيها بالتحف الثمينة ، وأشار لهدى قائلا : انظرى وتأملى .. هذا هو السرير الخاص

بالأمبراطورة أوجيني !

كان السرير قائماً فى منتصف الصالة وعليه أغطيته التاريخية وقد تدلت من أعلاه خيمة من التوال . كان قطعة من الفن الرفيع وقفت أمامها زوجتى مأخوذة تماماً ، بينما مضى برهان يقول : هنا كانت تنام أوجينى زوجة الأمبراطور نابليون الثالث ، لكأن عطرها لايزال عالقاً بقوائم السرير . حقاً ! ما أجمل أن يرى الإنسان التاريخ !

بحركة لا شعورية اقتربت هدى من أحد قوائم السرير تستنشق رائحة العطر ثم راحت تدور حول السرير كالمسحورة وأناملها تتحسس أغطيته فى إجلال وخشوع ، وانتحى بى الدكتور برهان وقص لى تفاصيل مثيرة . . كيف خرج هذا السرير من باريس إلى لوكسمبورج ثم استقر هنا .

كان الرجل شريفاً وصادقاً فقال لى بصراحة إن الانتربول - أو الشرطة الدولية - تبذل جهداً غير عادى للعثور على هذا السرير الذى اختفى من قصر فرساى فى ظروف غامضة ، ولولا ثقته بنا كأصدقاء حميمين محبين للتحف الرفيعة النادرة لما غامر بكشف هذا السر الذى ينبغى أن نحرص عليه فيما لو اشترينا السرير .

وبعد مفاوضات وتعهدات استطعنا الحصول على هذا الكنز التاريخى ، وللمزيد من الاحتياط والسرية تم نقل السرير فى جنح الليل ليحتل غرفة النوم فى الدور العلوى . لقد أصبح هذا الأثر التاريخى العظيم ملكنا ، وتلك متعة تطغى على كل ما ضحينا به من مال ، وأعترف أنها كانت وجهة نظر صائبة وسديدة من جانب هدى عندما قالت إن السرير قد صمم خصيصاً للأمبراطورة أوجينى وأن من المستحسن أن أنام على الأرض لئلا ينوء السرير بثقل جسمى فيتعرض للتلف .

ونمت على الأرض .

ونامت هدى فى سرير الأمبراطورة .

لم تمر سوى أيام قليلة حتى غلب على هدى الزهو وحب التفاخر ، فبدأت تهمس إلى المقربات من صديقاتها إنها اشترت سرير الأمبراطورة

أوجيني . ويبدو أن السر تجاوز الصديقات المقربات وبدأ يشيع ، الأمر الذى أزعجنى كثيراً ، إذ أصبحت أسير فى الطريق وأنا أتلفت حولى خشية أن أكون هدفاً لمراقبة رجال الأنتربول ـ الشرطة الدولية ـ ثم أيقنت أننى مراقب بالفعل عندما تعقبتنى سيارة ذات ليلة وأنا فى طريقى إلى معرض الدكتور برهان لكي أطلب إليه فسخ العقد واستعادة هذا السرير الذى سيلقى بى فى ظلمات السجون ، وعندما اختفت السيارة التى كانت فى إثرى أسرعت بالوقوف فى شارع جانبى صغير . . وترجلت قاصداً معرض الدكتور برهان وعندما بلغت الصالة الجانبية فى نهاية الممر ، شعرت بالطمأنينة وراحة النفس ، فقد لمحت الدكتور فى الداخل يشير قائلا لأحد عملائه : هذا هو يا سيدى سرير الأمبراطورة أوجينى !

وتبين أن نصف أصدقائنا يحتفظون بالسر ، وأن كلا منهم اشترى من برهان السرير الأوحد للأمبراطورة أوجينى !



الخليفة

أصابني صداع عابر فقالت زوجتي فاطمة : يجب أن تقلع عن التدخين ، ورأتني أتألم من ضيق الحذاء الجديد فقالت لى : يجب أن تقلع عن التدخين ، وتراجعت بالسيارة إلى الوراء وانكسر المصباح الخلفي ، فصاحت : متى تقلع عن التدخين ونستريح من هذه المصائب ، وزلت قدمى فوق الدرج وسقطت متألماً فردت فاطمة كلماتها المأثورة فى وجوب الإقلاع عن التدخين ، بل إن التدخين تسبب فى مشاكل أخرى متنوعة ، فمثلا كلما انقطع التيار الكهربائى فجأة سألتى فاطمة مع عصبية الحالة النفسية التى تعقب الاظلام المفاجىء : متى ستقلع عن التدخين ؟

ومن المفيد أن أقول إننى لا أناقش فاطمة أبداً ، فمنذ زمن طويل آثرت أن يكون الحوار بيننا من طرف واحد بعد أن ثبت أنها دائماً على حق ، ومن هنا فإننى أعتنق رأيها توفيراً لأى مجهود ذهنى أبذله بحثاً عن رأى صائب ، فالآراء الصائبة نادرة ، وهى عند فاطمة كثيرة جداً ، وجاهزة جداً .

لقد ثبت أن التدخين ضار ، فلماذا لا يكون التدخين ضاراً بفانوس السيارة الخلفى ؟ ولماذا لا يكون التدخين هو الذى يصيب الأحذية بالضيق ، وهو الذى يتسبب فى انقطاع التيار ؟

انى فكرت كثيراً فى الإقلاع عن التدخين حتى أتجنب الكثير من المتاعب خصوصاً بعد أن زاد انقطاع التيار ، لكننى لم أوفق فى أية محاولة بذلتها ، وعندما وقفت لى فاطمة بعنف وصلابة وأصرت على أن أكف

عن التدخين ، استسلمت وأصبحت أدخن سراً ، ولأن زوجتى ألغت ميزانية التدخين التى تمثل كل مصروفى ، ولأن مواردي المالية معروفة لفاطمة بالمليم وكلها تحت يدها ، فقد كنت مضطراً أن أسرق من سجائرها ، فهى تدخن أربع علب فى اليوم . ولولا أن ابنى سامح بدا مذهولا من قوة ارادتى فى الإقلاع عن التدخين ، لكنت قد اعتمدت عليه فى شراء ما يلزمنى من سجائر ، فإن صداقة وطيدة تربط بينى وبين ولدى الوحيد ، وهو الوحيد أيضاً الذى يستمع إلى باهتمام عندما أتحدث عن بطولاتى الرياضية فى شبابى ، ويستعيدنى أحياناً بعض ما أقول إعجاباً بى ، وهذا يدهش فاطمة كثيراً ، لكنها لا تفصح عن دهشتها أمام ولدنا ، فهى ترى فى الانصات إلى كلامى مضيعة للوقت ، لكنها لا تنكر - كما تردد كثيراً - أن أحاديثى لها ميزة مدهشة وهى أنها تعجل بانصراف الضيوف الثقلاء .

على أية حال أنا أجد فى ولدى سامح كل عزائى ، والإعجاب متبادل بينى وبينه ، فكما تستهويه أحاديثى وبطولاتى ، يبهرنى أسلوبه الرجولى فى معاملة سلوى زوجته ، فهو يخضعها لشخصيته القوية دون إرغام ، وهى تتدله فى حبه ، وهى ترفض - فى ضعف الأنثى الجميل - دون أن تعلو كلمتها ، وهو يمارس دور السيد الحقيقى دون أن يؤلمها بلفظة قاسية أو يخدش إحساسها بتصرف أحمق . إن سامح لديه القدرة لكى يجعلها تغير العطر الذى تحبه إلى العطر الذى يفضله ثم تعترف له بعد ذلك أنه كان على حق ، وهو قادر مثلا على أن يختار سجادة جديدة غير التى اختارتها لتسأله هى بعد ذلك : كيف فاتنى وقتها أن هذه السجادة أجمل كثيراً ؟

إنه السيد دائماً .

إنه أنا ، كما كنت أتمنى أن أكون ، لكننى فى كل الأحوال أحمد الله على نعمة السلام الزوجى الذى أعيش فيه بفضل ثلاث كلمات لا أغيرها أبداً : كما تشائين يا فاطمة .

غير أن فاطمة ليست بالإنسان المزعج المتسلط طول الوقت ، فإن لها ساعات تصبح خلالها شديدة الوداعة وهى ساعات نومها .

ذات أمسية لاقتنى فاطمة بوجه مكتئب وهى تقول : سأموت من الحزن يا فريد .

قلت لها : كما تشائين يا فاطمة .

غير أننى تنبهت وسارعت بالاعتذار والاسترضاء ، وكشفت لى فاطمة عن سر حزنها فقالت : تصور ، رضوان الخادم الأمين يتبين أنه لص وأنه يسرق من علب سجائرى المفتوحة ما يقرب من عشرين سيجارة يومياً !؟

ابتلعت ريقى بحركة غير إرادية واجتهدت فى أن أبدو شديد الدهشة لهذا الخبر الصاعق ، ووجدت نفسى أقول فى استنكار : النذل !

هزت رأسها فى أسف : وأى نذل ! لقد اعتدنا أن نخرج ونترك له كل ما فى البيت ثقة فى أمانته . إن من يسرق الرخيص يسرق الثمين ، فالأمانة لا تتجزأ .

ثم سألتنى فاطمة قراراً فى أمره ، ففوضت لها الأمر فى أمره ، وانتهى رأيها الأخير بأن تضبطه متلبساً . وقد أسعدنى هذا القرار كثيراً ، فقد أسرعت بالتنبيه على رضوان ألا يسرق لى شيئاً من سجائر المدام .

كان يتحتم على أن أتدبر مصدراً جديداً لمواصلة التدخين ، ولم يكن هناك ـ بعد تفكير طال ـ غير إبنى سامح . وما إن جلست معه فى بيته حتى بدأ يمتدح إصرارى على مواصلة الكفاح ضد التدخين ، وراح يكرر إعجابه بقوة إرادتى الباهرة التى لم يستطع أن يجارينى فيها ، وكان طبيعياً أن أحجم عن مفاتحته فيما جئت من أجله .

وبينما كان أبنى يشيد بإرادتى الحديدية قالت سلوى : لابد أن تقلع عن التدخين يا سامح .

نظر إليها سامح لبرهة ثم قال : هذا شأنى أنا يا حبيبتى .

كم كان ولدى رائعاً وقوياً وهو يصوغ عبارته لسلوى ، يمتزج فيها الحزم باللطف والرقة ، فبدا عليها ارتباك غطته بابتسامة وهى تبتعد قائلة : سأعد لكما القهوة .

وجدت نفسى أقول لسامح : حماك الله يا ولدى . ربما لم يدرك هو

لماذا صدر عنى هذا الدعاء ، ولكنى كنت أتطلع إليه لحظتها بانبهار عظيم .

فنحن لا ننبهر إلا بالعمل الذى نعجز عن إتيانه ، أو بالشخص الذى لا نستطيع أن نكون فى قدرته .

* * *

فى ذلك الصباح المبكر كنت أجلس فى الشرفة وقد بدأت أتماثل للشفاء من وعكة النفس والمزاج ، إذ كنت أمر باليوم الثامن عشر دون سيجارة ، فقد كنت قد عقدت العزم على أن أقهر النفس ، و أن تكون إرادتى عند حسن ظن ابنى ، وما لبثت فاطمة أن أقبلت نحوى بوجه ودود أكثر مما ينبغى ، ثم ألقت بتحية الصباح وهى تبتسم . غريبة . وفوجئت بها تهنئنى بعيد مولدى الخامس والخمسين . عندئذ أدركت السبب فى ودها وشذوذ مسلكها .

فى ذلك اليوم كشفت لى فاطمة عن ميزة جديدة من مزايا الاقلاع عن التدخين ، إذ اقتصدت ما كانت تخصصه لى ثمناً للسجائر ، وابتاعت به هدية عيد ميلادى .

طلبت فاطمة أن أغمض عينى لتفاجئنى بالهدية ، وفتحت عينى فوجدت يدها تمتد نحوى وهى تقول :

ـ ما رأيك فى هذا الخاتم .. جميل فى يدى ؟

ـ جميل جداً مبروك عليكى يا فاطمة .

وخلعت زوجتى الخاتم الذى ابتاعته لنفسها هدية فى عيد ميلادى لترينى اسمى منقوشاً على اطاره الداخلى ، ثم ابتسمت قائلة : أرأيت كم أعتز باسمك يا فريد .

ـ أشكرك يا فاطمة هديتك جميلة حقاً .

فى المساء أقام لى سامح وسلوى حفلا لطيفاً أطفأت فيه شموع عيد الميلاد ، وأهدانى ولدى أزرار قمصان ذهبية ، وأهدتنى سلوى دعوات من القلب بأن يطيل الله فى عمري ، وراحت تشيد بشخصى إلى درجة أخجلتنى . لقد قضينا وقتاً سعيداً ، لكن ختام الليلة لم يكن كذلك ،

فبعد أن عدنا إلى البيت لامتنى فاطمة بشدة لأننى ضيعت أزرار القمصان الذهبية .

ـ ربما نسيناهم هناك يا فاطمة ؟!

ـ قلت لك إننى وضعت علبة الأزرار بنفسى داخل جيب سترتك .

بينما أنا أعيد تفتيش سترتى للمرة العشرين قالت فاطمة : على العموم لا تخبر سامح أو سلوى بأنك ضيعت هديتهما وانس الموضوع تماماً .

ـ كما تشائين يا فاطمة .

مرت فترة غير قصيرة على حفل عيد ميلادى عندما خيل إلى أننى عثرت على أزرار القمصان ، فسألت فاطمة : أليست هذه أزرار القمصان الضائعة ؟

مصمصت فاطمة شفتيها أسفاً على غباوتى ثم قالت وهى تشير إلى أذنيها :

ـ هذا قرط يا رجل . . أنظر . . هل كان كل زر تتوسطه حبة لؤلؤ مثل هذا القرط ؟

ـ كلا .

ـ إذن فهذا قرط وليس أزرارك التى ضيعتها .

ـ فعلا .

★ ★ ★

فى عيد ميلادى السادس والخمسين حدثت مفاجأة جديدة تماماً فإن جمعية الترابط الأسرى التى تشترك زوجة ابنى فى عضويتها قررت اعطائى لقب الزوج المثالى . ووقفت سلوى تعدد مناقبى كزوج عظيم وقدوة رائعة لكل الأزواج ، ثم كيف تأثر زوجها ـ ابنى ـ بوالده ، فبدأ ـ أول ما بدأ ـ بالاقلاع عن التدخين ، ثم تمرس بالفن الذى برع فيه الأب وهو فن معاملة الزوجة .

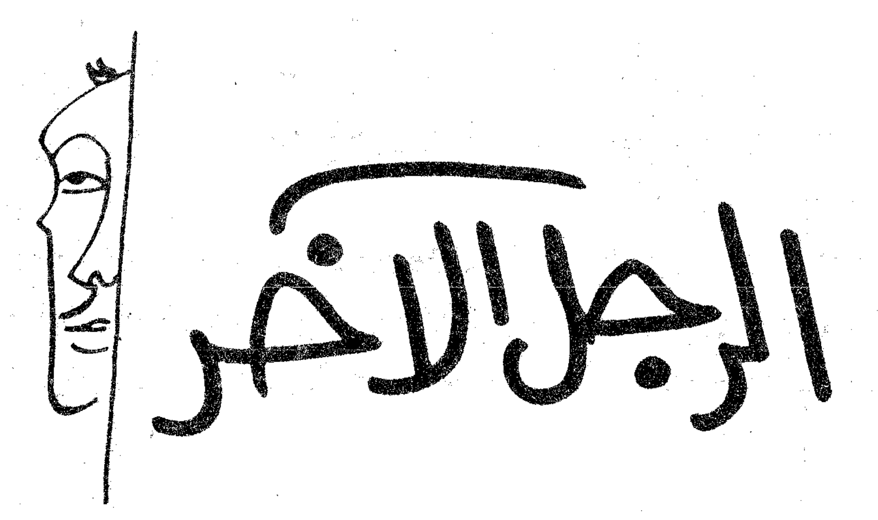
ودوت القاعة بتصفيق متواصل وأنا أشق طريقى لأتسلم شهادة الزوج المثالى .

بعد الحفل انتحيت بابنى أسأله : ماذا جرى ؟ وهمس ابنى فى أذنى بأنه طول عمره معجب بسياستى مع والدته كزوج هادىء الطباع ، وقد حاول كثيراً أن يكون مثلى حتى نجحت محاولاته وشرح لى كيف أصبح يدخن فى الخفاء حتى لا يغضب سلوى !



طافت هذه القصة من بدايتها بخاطرى وأنا أزور سامح فى عنبر كسور العظام بعد خلاف بسيط مع سلوى .




الرجل الاخر

عندما يلمحني الأستاذ أبو العلا داخلاً من باب النادى يدرك على الفور أنني فى مشكلة مع قدرية ، وأننى جئت طلباً لمشورته . فهو رجل تجاوز الخامسة والستين ، اعتدت أن أودعه أدق أسرارى وألتمس منه رأى المجرب وحكمته ، فقد تزوج الرجل ست مرات ، وطلق سبع مرات ، لأنه - بطريق الخطأ - أنهى مشادة مع جارته قائلا : أنت طالق .

ومشاكلى مع قدرية لا تنتهى ، فبعد أحد عشر عاماً من ليلة الزفاف لاتزال زوجتى تريد منى أن أحبها حباً سينمائياً ، وأن أقوم بدور الفتى الأول الذى يتقن حرفة العشاق ، فهى ذات نزعات رومانسية بعيدة عن واقع الحياة ، وهى - مثلا - ما إن تشاهد فيلماً عاطفياً فى سهرة التليفزيون حتى تندمج فى أجوائه ، فتمسك بيدى ثم تعتدل فى جلستها لتكون فى مواجهتى ، ويصبح من واجبى فى هذه الحالة أن أفعل مثلما تفعل ، فأسبل العينين ، وأظهر لوعة الحب على قسمات وجهى ، وأهمس إليها فى نبرة توجع والتياع : أحبك .

وإذا أنا لم أقم بكل هذه الطقوس ، فهذا معناه أننى لم أعد أحبها ، وأن امرأة أخرى تعبر حياتى ، ويترتب على ذلك أن تقاطعنى قدرية ، وتنغص علىَّ عيشتى ، فلا تهيىء لى طعاماً ، ولا تعد لى ملبساً ، ولا تحيك لى زراً مقطوعاً ، ولا تصالحنى إلا إذا تركت لها رسالة عاطفية ملتهبة ، أكتبها فى مكتبى نقلا عن كتاب : دليل المشتاق فى وصل العشاق .

وعندما ذهبت إلى الأستاذ أبو العلا أشكو أن قدرية قد دخلت مرحلة جديدة هى الغيرة من عملى الذى يأخذنى منها قال لى الأستاذ أبو العلا : إن هذا شيء طبيعى لأن المرأة تريد رجلا لا عمل له إلا الحب ، وكلما كان الرجل عاطلا ومتفرغاً لها كل الوقت ازدادت بهجة وسعادة ، ولهذا نلاحظ أن كل أبطال قصص الحب الخالدة عاطلون بلا عمل : مجنون ليلى وكثير عزة وجميل بثينة ، ولابد أن روميو أيضاً كان عاطلا ، فلا يعقل أن يظل معلقاً فى شرفة جولييت حتى طلوع الصبح ثم يستطيع بعد ذلك الذهاب إلى عمله ، وحتى كليوباترا لم يزدهر حبها لأنطونيو ويتوهج إلا بعد أن أصبح مارشالا فى المعاش .

ولطالما نصحنى الأستاذ أبو العلا بأن أفطم قدرية عن نزعاتها الرومانسية ، لكننى لم أجد الجرأة على تنفيذ نصائحه ، وأخيراً قررت أن أغامر ، وأن أنفذ الخطوة الأولى التى اقترحها الأستاذ أبو العلا ، فأصبحت أقول لها عبارة عاطفية واحدة لا تتغير إذا همست لى : أحبك قلت لها أحبك يا عمرى ، وإذا قالت لى ما رأيك فى تسريحتى قلت أحبك يا عمرى وإذا استطلعت رأيى فى فستان جديد قلت أحبك يا عمرى ، وإذا أخبرتنى أن والدتى اتصلت تليفونياً قلت أحبك يا عمرى ، كذلك سبلت لها العينين وهمست أحبك يا عمرى عندما أبلغتنى أن الولد عنده إسهال .

ثم بدت معالم عدم ارتياح لتكرار عبارة أحبك يا عمرى ، فبدأت تسألنى لماذا لا أقول جديداً ، فكنت أضع يدها على يدى وأرفعها إلى شفتى مغمض العينين هرباً من الجواب ، فلما راحت تضيق علىَّ الخناق وهى تتساءل فى توتر : لماذا لا أغير عبارة أحبك يا عمرى ، رفعت يدها إلى فمى وأغمض عينى إغماضة العاشق الولهان . لكنها كررت سؤالها مرتين ، ففكرت طويلا ثم قلت لها لأنى أحبك يا عمرى ، وهنا سحبت يدها من بين يدى فى عنف ، وانفجرت فى وجهى تنعى حظها الأسود وهى تتمنى على الله أن تستأصل أذنيها حتى لا تسمع هذه العبارة البغيضة التى أجهزت على أعصابها ، وقد التزمت الصمت تاركاً العنان لثورتها الشديدة حتى ارتمت على فراشها باكية فتقدمت منها

لأربت على ظهرها قائلا : اهدئى .. أحبك يا عمرى .

هنا لم تحتمل قدرية فانتفضت وهى تطلق « صويتاً » عالياً ظن معه الجيران أننى انتقلت إلى رحمة الله ، ثم راحت تجمع حوائجها وهى تقسم أنها لن تعيش تحت سقف واحد مع رجل شرير يقود حملة لتخريب أعصابها بعبارة أحبك يا عمرى .

وكان لجوء قدرية إلى بيت أسرتها إيذاناً بالخطوة التالية التى أشار بها الأستاذ أبو العلا وهى أن أخرج بقضيتى مع قدرية إلى الرأى العام العائلى ، فأشكو إلى أسرتها .

وضربت أمها كفاً بكف وهى توجعها بكلمات قاسية ، ورماها أخوها بالجنون لأنها ترفض كلمة الحب من زوجها ، ورجانى خالها - وهو كبير الأسرة - أن أكون كريم الأخلاق كما عهدنى ، وأن أعفو عنها ، وإظهاراً لكرم أخلاقى تعهدت للأسرة - أمام قدرية - أننى لن أقول لها أبداً أحبك أو أى كلمة حب مادام كلام الحب يغضبها .

وعادت قدرية إلى البيت وأنا أخفى بصعوبة غبطتى الشديدة بخلاصى من تسبيل العيون وممارسة لوعة الحب والتنهدات ، وأصبحت قدرية تحدثنى بكلمات معدودة وفق ما تقتضى الضرورة ، لكنها لم تستطع أن تقاطعنى أو تهمل لى مطلباً ، ثم شيئاً فشيئاً بدأ الحنين يعاودها إلى الرومانسية ، لكننى كنت حريصاً على تجاهل أية إيماءة من جانبها ، مثل تلك الليلة التى تصادف فيها وجودنا أمام التليفزيون ، ووقفت بطلة الفيلم تقول لصديقتها فى تنهيدة محترقة : إن المرأة فى حاجة إلى كتف رجل تضع رأسها عليه ، فنهضت من مقعدى وأنا أسأل قدرية أين وضعت أنبوبة دواء الأنتى روماتيك لأن كتفى عاودتها آلام الروماتيزم ، وبذلك أبلغتها بلباقة أن كتفى فى حالة عطل فنى ولا تصلح لوضع رأسها عليها .

★ ★ ★

بينما كنت أهم بوضع المفتاح فى باب الشقة ترامى إلى سمعى صوت قدرية تتحدث إلى صديقتها بنبرة أسف : كل الرجال على هذه الشاكلة يا سهير .. إننى أجد فيه صورة أخرى من رفعت زوجى ، يرتفع بك

إلى ما فوق السحاب ثم يلقى بك من حالق . .

وانخفض صوت قدرية ولم أعد أسمع شيئاً ، ووقفت أسائل نفسى : عمن تتحدث زوجتى ؟ هل وقعت فى حب رجل آخر ؟؟ هذا مؤكد .

بدلا من أن أفتح باب الشقة عدت أدراجى واتجهت رأساً إلى الأستاذ أبو العلا . حكيت له ما سمعت وأسررت إليه بهواجسى فهز رأسه أسفاً قبل أن يقول : الأرجح أن قدرية قد وقعت فى حب رجل آخر بعد أن حرمتها من الغذاء الرومانسى ، وما من امرأة يا ولدى تستطيع أن تحيا بغير حب ، فهى إن لم تكن فى حب قائم فإنها فى انتظار حب جديد ، وإلى أن يأتى الحب الجديد فهى تجتر - فى ساعات وحدتها - حباً قديماً وتستدفىء بذكراه .

قلت مستنكراً : قدرية تحب غيرى ؟؟

قال فى هدوء : لا تندفع . لقد علمتنى التجربة أن الحكم الصحيح فى مثل هذا الأمر يحتاج إلى يقين مكتمل ، فإن أنت فاتحتها الآن وكان ظنك وهماً ، أوجدت صدعاً لن يلتئم مدى العمر . فإذا اكتشفت أنها تعشق آخر هان الأمر بقدر ما تدرك حينئذ كم هى رخيصة . اسمع . . لقد كنت أشك فى واحدة من زوجاتى ، فلما تأكدت من ضآلة شأنها عندى ، بل وشعرت أنها أسدت لى جميلا عندما هربت مع موظف من مكتبى طالما تمنيت أن أفصله لإهماله ، هذا بالإضافة إلى أن هربها معه قد أعفانى من دفع مكافأة خدمته وتأميناته الاجتماعية .

★ ★ ★

روضت نفسى على الهدوء بصعوبة بالغة . لقد رحت أراقب زوجتى وأتصنت عليها والغيرة تنهش قلبى . كانت قدرية تتحدث مع صديقتها الأثيرة سهير فى التليفون عن شخص بذاته ، وكانت تلعنه كثيراً لأنه مراوغ ولعوب وخائن كمعظم الرجال !

ومضت الأيام بطيئة ومضنية أكاد أشم فيها رائحة أعصابى وهى تحترق . كانت قدرية تحاول التقرب منى لتغطى موقفها ، وكانت تبكى زعماً منها اننى لم أعد أحبها ، بينما كانت دموعها تجرى بسبب حبيب

القلب اللعوب المراوغ الخائن لمعظم الرجال .

وأخيرا سمعتها تنطق باسم هذا الرجل وهى تحدث سهير قائلة : عزالدين عابد طلق زوجته أمس . . كيف لم تعرفى ؟ ثم أضافت بنبرة فخر : ألم أقل لك إنه سوف يطلق زوجته ؟

كنت أسترق السمع من غرفة النوم بصعوبة ، فقد خفض صوت قدرية ولم أعد أتبين جملة مفيدة ، وإنما كنت أسمعها تضحك مع سهير فى بهجة واضحة بعد أن طلق عزالدين عابد زوجته .

قال لى الأستاذ أبو العلا : إن الوصول إلى اسم الرجل الخفى إنجاز عظيم ، وما علينا الآن إلا أن نعرف من يكون عزالدين عابد وماذا يعمل ؟

كيف ؟

من دليل التليفون . فإذا توصلت إلى عنوانه وتأكدت أنه هو بعينه حبيبها ، فاذهب إليه وأشكره لأنه أعطاك الفرصة الذهبية لكى تتخلص من غلطة حياتك وأعرض عليه أن تتركها له .

وسوف يتولى هو نقل لقائك معه إليها ، وكيف عرضت عليه أن تتركها له . أى مذلة سوف تشعر بها قدرية وأى هوان !؟

فكرت كثيراً فى كلمات الأستاذ أبو العلا ولم أستطع أن أصل إلى قرار . وبينما كنت أغادر النادى ترامى إلى سمعى اسم عز الدين عابد يتردد فى مائدة ، فالتفت خلفى لأجد رجلين يتضاحكان دون أن ينظرا نحوى . إذن فالناس تعرف فضيحتى ، وأنا آخر من يعلم حقاً !

غلى الدم فى عروقى ، وراودتنى فكرة قتل قدرية انتقاماً لعرضى . تناولت قرصاً آخر مهدئاً من تلك الأقراص التى أعطاها لى أبو العلا ، ولما بلغت بيتى كنت هادئاً بعض الشىء ، وبكت قدرية كثيراً وهى تتساءل ما الذى جرى لى . ولماذا أنظر إليها فى وجوم على الدوام ؟

يا لقدرة النساء على الكيد والتمثيل !

★ ★ ★

اكتشفت أن فى الدليل اسمين متشابهين : عزالدين أحمد عابد وعزالدين عابد المليجى ، الأول الجرس فى بيته يدق ولا مجيب وتبين

أنه هاجر ، والثانى رد خادم وقال إن عزالدين بك فى المكتب ، وعرفت أن عزالدين عابد المليجى مليونير من رجال الأعمال ، وأنه شاب فى الأربعينات ومفتون بنفسه .

اتصلت بالمكتب وحددت لى السكرتيرة موعد عمل . لافتة المكتب تحمل اسم « عزالدين المليجى » استقبلنى مرحباً ، ورأيت ألا أضيع الوقت فقلت له : أنت تعرف لماذا جئت .

نظر إلى باسماً دون أن يعلق فمضيت أقول : أنا مستعد أن أتركها لك .

قال : هذه بداية طيبة .. كم تريد ؟

لا أدرى ماذا جرى لى ، فقد انتفضت واقفاً ورحت أقذف الرجل بكل ما تصل إليه يداى : ساعة المكتب ، والأجندة ، والتمثال البرونزى ، والولاعة .

أحاط بى بعض رجال مكتبه وضربونى ضرباً مؤلماً ، وتغطية لموقفه زعم عزالدين عابد لمن قص عليهم الرواية أنه كان يتحدث عن المناقصة التى يريد أن يدخلها بمفرده وظن أننى جئت لكى أعرض عليه أن أتركها له بمقابل .

★ ★ ★

بعد تفكير طال ، استقر رأيى على أن أقتل قدرية وعزالدين عابد .

حشوت المسدس بالموت واتجهت إلى البيت ، وقد آلمنى كثيراً أن أصبح مضغة فى الأفواه .. إذ ما أن مررت بالبوتيك ، المجاور لمنزلى حتى سمعت صاحب البوتيك يتحدث فى التليفون عن عزالدين عابد . وعدت أدراجى ودخلت البوتيك وبدا للرجل من مظهرى أننى سوف أقدم على عمل خطير فوضع السماعة ورحب بى فى ارتباك شديد وقلت : قل لى بصراحة .. هل عزالدين عابد يأتى إلى هنا ؟ تلعثم وهو يقول : إلى هنا ؟ ماذا تعنى ؟

أشرت برأسى فى اتجاه بيتى وقلت : هنا ؟ ولا تدعى البلاهة .. هل رأيت عزالدين عابد ؟

قال الرجل : اهدأ يا سيدى . عزالدين عابد أراه كل يوم .

قلت : أين ؟

قال : فى المسلسل التليفزيونى يا سيدى . . أنت تعرف أنه حديث البيوت كلها ، فقد طلق أم أولاده وتزوج السكرتيرة ثم طلق السكرتيرة وتزوج الشغالة .




في الحرملك

قال المخرج السينمائى الكبير الأستاذ عمر :
ليس فى الأمر كسل من جانبى ، ولكنى لا أجد موضوعاً جديداً أقدمه ، فكل القصص معادة : بطل يحب البطلة ، وبطلة تحب البطل ، وشرير يحاول أن يمزق أحلام الاثنين ، إنها القصة القديمة الخالدة عن الشاطر حسن وست الحسن والجمال ، وكان الشرير أمنا الغولة .
ومضى الأستاذ عمر يقول : حتى الأساطير الجميلة فى ألف ليلة وليلة قضى عليها العلم . فبساط الريح أصبح بوينج ، ومصباح علاءالدين صار اسمه الكمبيوتر ، وخادم المصباح الذى يظهر ليقول شبيك لبيك يطلقون عليه الآن الروبوت أو الإنسان الآلى . لا جديد .
قلت للأستاذ عمر : هل ترى هذا الرجل الأشيب الوسيم أمامنا ؟
قال : نجم الدين ؟ لقد تم التعارف بيننا من قبل ونحن نجلس إلى مائدة صديق هنا فى النادى ، ولقد شدتنى ملامحه الوسيمة حتى إنى عرضت عليه الظهور فى السينما وأسفت أننى لم أكتشفه منذ ثلاثين عاماً قبل أن يصبح عجوزاً . وضحكنا كثيراً . رجل لطيف .
قلت للأستاذ عمر : ألم تسمع قصته ؟
قال : كلا .
قلت له : تعال إليه ، لعل قصته تكون الفيلم الجديد الذى تبحث عن موضوعه .
وبدأ نجم الدين يروى حكايته :

أول فتاة تزوجتها كان اسمها ناهد ، ولم أجد بعد شهر عذراً مقبولا للزواج منها ، ولذلك أشعت أنها جميلة ، فلما رآها أصدقائى غيرت العذر وادعيت أنها طباخة ماهرة .

هل كنت أعبر بذلك عن رغبة وراثية دفينة عندى ؟ لا أدرى .

لكننى لا أنكر أننى كنت أحب الطعام الجيد قبل أن يرغمنى الزمن على أكل المسلوق . وقد كان جدى يهوى طهو الطعام بنفسه ، أما أبى فقد كان على علاقة عاطفية خاصة ببعض أنواع الطعام ، وأذكر أنه كان يأكل الحمام المحشو بالفريك وهو يبكى من فرط اللذة .

إن صدمة كبيرة أصابت أمى عندما اكتشفت أن عروستى ناهد تجهل الطهو . لكن شيئاً خفياً فى شخصية ناهد كان يشدنى دائماً إليها ويدفعنى إلى الوقوف بجوارها .

كانت شديدة الطيبة فياضة الحنان . ولقد حاولت أن أساعدها فى أن تكون طاهية ماهرة ، فأهديتها كتاباً قيماً عن فن الطهو ، وأشهد أن الكتاب أصبح شغلها الأول وأنها اجتهدت فى استيعابه . وذات ليلة عدت إلى البيت جائعاً وفتحت الثلاجة لأرى أولى ثمار هذا الكتاب : طبق عجة بالبشامل ، كان قرص العجة سميكاً بديع المنظر يسيل اللعاب ، وما إن التهمت منه قطعة حتى دخلت ناهد وهى تستحلفنى أن أقول رأيى بصراحة فى هذه التورتة .

تورتة ؟؟

هذه عجة صريحة . لكنى بدأت أتلمس لها الأعذار ، فلعلها فتحت الكتاب على صفحة التورتة ثم قلب الهواء صفحات إلكتاب . بينما هى ترد على التليفون واستقرت الأوراق على صفحة العجة . ذلك هو التفسير الأوحد ، وإن لم تكن هذه عجة فلابد أننى أصبت بعاهة فى حاستى الشم والتذوق . لقد وجدت نفسى لحظتها فى موقف حرج فبدأت امتدح التورتة ، وما أن تناولت هى كسرة منها حتى علت الدهشة وجهها ، وتظاهرت أننى لم ألحظ هذه الدهشة وانسحبت من المطبخ بطريقة طبيعية حرصاً على مشاعرها .

ثم أصبح شيئاً عادياً أن أجلس إلى المائدة وأتناول حساء أخضر

مجهول الهوية ، فأتمنى لو أنها كانت قد وضعت بطاقة على الطبق تشرح : هذه ملوخية أو هذا قلقاس مهروس .

مرة واحدة فقط عرفت جنسية الحساء عندما سألتنى :

ـ هل أعجبتك الملوخية ؟

ـ جميلة ولكن يبدو أنك تضعين فيها السكر .

ـ كنت أرى أمى تضع فيها قطعة سكر ، لكنى وضعت فنجان عسل نحل . . ما رأيك ؟

ـ جميل .

ما جدوى النقاش ؟ أنت لو عرفت ناهد كما بدأت أعرفها يوماً بعد يوم فسوف يشق عليك أن تخدش مشاعرها . غير أن أمر التجديد لم يقتصر على الملوخية بعسل النحل ، فذات يوم استحلفتنى كعادتها تطلب الرأى فى حلوى (البودنج) . فلما اطمأنت إلى رأيى قالت :

ـ إذن سأصنعها كل مرة بهذه الطريقة .

ـ وما الطريقة ؟

ـ لم أعرف كيف أصنع عسل السكر المعقود ، فاستعملت للبودنج دواء الكحة .

الحق أنها اجتهدت كثيراً لكى تتعلم ، لكن يبدو أن الطهو موهبة استعصت عليها ، وقد يكون من العسير على سيدة مثلها تخصصت فى الفلسفة اليونانية أن تطبخ دقية بامية أو محشى ورق عنب . وكم كنت رقيقاً جداً عندما قلت لناهد إننى يجب ألا أتعبها ، وعرضت عليها أن تستخدم طاهياً ، فاعتبرت اقتراحى اهانة لها . ثم تطور الحال فبدأت أتأخر عن موعد عودتى ظهراً لسببين : الأول لكى أعطيها فرصة للطهو البطىء الذى اعتادت عليه ، والثانى لكى أمر بمطعم أتناول فيه وجبتى ثم أعود إلى البيت وأتظاهر أنى أشاركها الطعام . وضقت بالتردد على المطاعم ، وكنت أجد فيما تطهوه أمى ـ حين أعرج على بيتها ـ طعاماً له مذاق آخر ، فيه لمسة الأنوثة ، وحنانها وأنفاسها العطرة .

وذات مرة كانت فكرية سكرتيرة العضو المنتدب فى مكتبى ، ولا أعرف كيف تطرق الحديث إلى مشكلتى مع ناهد . كنت أتحدث

عنها بلهجة طيبة ، وكيف أنها تبذل جهدها لكى ترضيني . وبعد أسبوع كنت مفتوناً بطبق فتة الكوارع الذى دعتنى إليه فكرية ، ثم تكررت دعواتها لى بين أفراد أسرتها .

لا تنظروا إلى بابتسامة استخفاف وسخرية أرجوكم ، فآخر ما كان يخطر ببالى هو أن أنفصل عن ناهد . صدقونى . لكن يبدو أن الرجل ملىء بالثقوب الخفية التى تراها المرأة الذكية وتنفذ منها إليه ، وإلا فما الذى أوقعني فى حب فكرية ؟ كان يمكن ألا يحدث ذلك ، فقد كانت أمامى دائماً دون أن يخفق لها قلبى يوماً . ولكنى بدأت أراها جميلة . جذابة الشخصية .

وتزوجتها .

بعد شهر من الزواج لم أرتح للقرار الذى سبق أن وافقت عليه وأنا فى نشوة الغرام وفتة الكوارع ، فقد اشترطت فكرية ألا أحمل فى جيبى مفتاح البيت لكيلا أعود متأخراً فى الليل ، وقد رفضت فكرية إعادة النظر فى هذا الموضوع واعتبرته منتهياً ، وأمام اصرارى وافقت بشرط ألا أعود بعد العاشرة ، وأن أدق الجرس حتى تفتح لى الباب بنفسها ، فهى لا تريد أن أحرمها من هذه البهجة عندما تستقبلنى ، وعاش المفتاح فى جيبى شهراً قبل أن أتبين أنه مفتاح شقة أسرتها ولا نفع فيه ، وعندما حملت فى جيبى مفتاح الشقة الحقيقى ، فتحت الباب ذات ليلة ، فاجأنى صوتها يقول : هل جئت يا حسنين ؟؟

حسنين ؟؟ حسنين من ؟؟

وعادت تتساءل من الداخل : حسنين ؟؟

وربطت بين المفتاح المزيف واصرارها على أن تفتح لى الباب بنفسها وبين تساؤلها عن حسنين المجهول هذا ، واندفعت كالمجنون وكدت أزهق روحها بين يدى وأنا أسألها من يكون حسنين ؟ وأقسمت لى أن هذه حيلة تعلمتها من أمها ، فقد كانت تقول لوالدها إذا سمعته يفتح الباب فى ساعة متأخرة : هل جئت يا سى عبده ؟؟ وفى تلك الأيام اضطر والدها الذى لم يكن اسمه سى عبده أن يلزم البيت ولا يسهر فى الخارج ، وأصبح فى حياته شبح يغار منه اسمه سى عبده . فالغيرة

تشعل لهيب الغرام .

وبرغم أن فكرية أقامت الدليل على صدق روايتها إلا أننى رفضت بعناد أن أصدق القصة وطلقتها .

تزوجت من عين الحياة : امرأة باهرة الجمال يستحيل على الرجل أن يقاوم فتنتها المدرعة . . لكننى ما لبثت أن اكتشفت أن تحت شعرها الحريرى الأصفر أشد مناطق الكرة الأرضية تخلفاً وجهلاً .

كان بداخل جمجمتها خواء رهيب . سألتنى مرة هل تعرف فولتير يا نجم الدين ؟؟ قلت لها : أعرفه . قالت : ما رأيك فيه ؟

قلت : رجل عظيم . قالت : تماماً كما حدثونى عنه .

لست أدرى من الذى خدعها وسخر منها وقال لها : إن فولتير هو الكهربائى الوحيد المتخصص فى اصلاح ذبذبة الفولت التى نشكو منها فى تيار البيت حتى أنه اشتهر بهذا الاسم نسبة إلى الفولت الذى برع فى تثبيته .

كانت معتوهة . تضحك لكل كلمة غزل تقال لها همساً فى المجتمعات فتوارب الباب ـ دون قصد غالبا ـ لكل طامع فى جمالها ، وكنت أخجل حين تفتح فمها بالكلام ، فهى لا تعى القاعدة البسيطة التى ينبغى أن تراعى فى المجتمعات : عم تتكلم ؟ وعمن تتكلم ؟ وإلى من تتكلم ؟ ومتى وكيف تتكلم ؟

وفى حفل استقبال أقمته فى بيتى ، رأيت أخى الأكبر يجلس بمفرده . همست إليها أن ترحب به وتحادثه ، فذهبت إليه وهى تردد له ما قلته بالضبط : أخوك نجم الدين يقول عنك إنك طول عمرك خائب وخجول وتجلس كأنك بالع فيل .

وكنت أسافر فى رحلات عمل إلى أوربا تستغرق أحياناً ثمان وأربعين ساعة ، فكانت تصر على صحبتى ومعها خمس حقائب ، كانت تعود بها دون أن نفتحها ، وعندما زاد عدد الحقائب إلى سبع سألتها :

ـ لماذا لا تأخذين البيانو معك بالمرة ؟

قالت فى تردد : هل ترى ذلك ضرورياً ؟

نبهت عليها بألا تأخذ معها أكثر من حقيبة ، وفى آخر مرة كنا فى

طريقنا إلى المطار عندما قالت لى : لا تخش الوزن الزائد فى الحقائب ، فقد حللت المشكلة بفكرة مدهشة .
ماذا فعلت يا عين الحياة ؟
ـ خلعت كل الأزرار من بدلك تجنباً لزيادة الوزن ووضعتها فى كيس بحقيبة يدى .
شىء رهيب .
فعندما يتاح لك أن تحيا مع عين الحياة تحت سقف واحد ، فسوف يكون لديك فرصة العمر لترى كيف يكون الجمال الباهر دمياً .
وانفصلت عن عين الحياة .
قال المخرج الكبير الأستاذ عمر : أنت تنفصل ببساطة وتتزوج ببساطة .
قال نجم الدين : وهل كان أحد غيرى يملك غير ذلك .. ثم أنا لا أخالفك كثيراً ، فمن الجائز أننى شعرت بسهولة تجربة الانفصال عندما مارستها مرة بعد مرة ، فأصبحت أقدم عليها بلا تفكير ، أما عن الزواج ، فقد اكتشفت أن المرأة هى التى تضع فوق لسان الرجل طلب الزواج منها ، ثم تطلب مهلة لكى تفكر !
وأردف نجم الدين : تزوجت بعد ذلك من قدرية . لم تكن ذات جمال غير عادى ، ولكنها كانت امرأة رائعة . سحرها داهم ، وحديثها شائق وأنوثتها دافقة .. كانت هذه المرأة .
قال الأستاذ عمر مقاطعا وهو يضحك : كانت هذه المرأة زوجتك ثم أصبحت زوجتك سابقاً .. لماذا ؟؟
قال نجم الدين : كانت تأتى كل يوم بخطأ واحد صغير لا يتغير . كانت تبرى قلم الحواجب بشفرة الحلاقة التى استعملها . أهديتها مبراة ذهبية ، لكن الشفرة التى كنت أحلق بها بالذات هى المفضلة عندها . نبهتها كثيراً بلا جدوى . تبين لى أن الخطأ الصغير الواحد المتكرر يساوى أشد الأخطاء جسامة . لقد دخلت يوماً البيت دون أن تشعر بمقدمى ، وسمعتها تقول لصديقة لها فى التليفون : إن الشفرة تقطع خشب القلم بسهولة فتصورى أنه يعتقد أن شعر ذقنه أقوى من الخشب

بحيث لا تستطيع الشفرة حلاقته . هل رأيت أشد غباوة من هذا الرجل ؟
طلقتها .
قال الأستاذ عمر : إن حياتك ليست إلا مجموعة من الغارات العاطفية ، كل غارة تشنها على حياة امرأة ثم تعود إلى قواعدك سالماً لتقدم المبررات وتستعد لغارة جديدة . لا جديد فى القصة . أنت شهريار الحديث . لقد كان لشهريار عبد اسمه مسرور السياف يقطع رقاب زوجاته ، وأنت لجأت إلى أسلوب العصر فى تدمير حياة الزوجات لأنك لا تملك مسرور السياف ولا رخصة قتل امرأة .
قال نجم الدين : ولماذا لا تقول إنى فشلت فى العثور على امرأة واحدة بداخلها الأم والزوجة والعشيقة وربة البيت وسيدة المجتمع ولهذا تزوجت ثمانى مرات باعتبارهن امرأة واحدة مجزأة على ثمانية أقسام .
قال الأستاذ عمر : ماذا تقول ؟؟ تزوجت ثمانى مرات ؟؟
قال نجم الدين : تستطيع أن تقول سبع مرات ، فقد اضطرتنى الظروف ألا أذهب فى آخر لحظة إلى حفل عقد قرانى الثامن ، لأنى فى تلك الفترة كنت أتلقى رسائل معطرة من سيدة مجهولة .
كنت أنتظر رسائلها فى لهفة وشوق ، وكان واضحاً من رسائلها أنها صديقة لإحدى زوجاتى . فهى تعرف الكثير من خباياى ، وقد استطاعت ـ فى رسائلها ـ أن تحلل شخصيتى وأن تأخذنى من يدى وتطلعنى على أعماقى . وجدتها تعرفنى أكثر مما أعرف نفسى . وكنت ـ رغم قسوتها أحياناً ـ أحس سطورها تشع دفئاً وحناناً . وأحببتها دون أن أراها . تعلقت بها فى جنون . وعندما كانت تستبد بى ساعات الاختناق النفسى أسعى إلى رسائلها واقرأ ، فأشعر بيدها تمتد نحوى . وخيل إلى أننى سوف أصبح أسعد رجل فى العالم لو أنها ارتضتنى زوجاً . ولكن أين هى ؟ وكيف أراها أو أخاطبها ؟؟
وكأنما كانت تستمع إلى مناجاتى لها فى وحدتى . ففى يوم عقد قرانى السابع فوجئت ببرقية منها تقول : انتظرنى إنى قادمة إليك .

قال الأستاذ عمر : وجاءت ؟

قال نجم الدين : ورأيتها . كانت هى زوجتى الأولى ناهد ، وأصبحنا زوجين منذ ست عشرة سنة .

اعتدل المخرج الكبير فى اهتمام بالغ قائلا : هذا مثير .. مثير .. هذا هو الجديد . فيلم يبدأ بالطلاق ثم ينتهى هذه النهاية السعيدة !

قال نجم الدين : من قال لك إنها نهاية سعيدة ؟ لقد اشترطت ناهد أن تكون العصمة بيدها !




الإمتحان

فى جلسة دافئة على شط النيل ، اتفقت مع طمطم على أن أتقدم لطلب يدها . . ونظر إلىَّ والدها الدكتور مراد نظرة تأمل طويلة وهو ينفث دخان السيجار بعصبية واضحة ، ثم قال لى : إنه سوف يضعنى تحت اختبار نفسى دقيق قبل أن يعطينى الموافقة ، حتى يضمن لكريمته الوحيدة سعادة زوجية حقيقية .

ونهض الدكتور مراد وهو يطلب أن أنتظره فى غرفة جانبية بالعيادة ، وكان الممرض يدخل بين حين وآخر ليقول : إن الدكتور سوف يتفرغ لى بعد قليل ، ومرة ساعة إثر أخرى ، خفتت الأصوات تدريجاً خارج الغرفة ، ففتحت الباب لأجد أن العيادة قد أغلقت وأن الجميع انصرفوا ، وأن التليفون الذى يمكن أن أستغيث به موجود فى مكتب الدكتور وراء باب مغلق . . وبدأت فى قضاء ليلة أليمة وأنا حبيس العيادة القديمة التى تصفر ريح الشتاء عبر نوافذها المتهالكة ، وقد حاولت أن أدق باب الشقة من الداخل فلم يسمعنى أحد ، وحتى لو سمعنى إنسان فإنى بداخل عيادة يتردد عليها المضطربون عقلياً ونفسياً ، ولا مصلحة لعاقل فى إطلاق سراح مجنون يدق باباً أوصد عليه فى الليل .

وقد سعد الدكتور مراد كثيراً بسلوكى فى تلك الليلة البغيضة ، إذ أثبت جهاز التسجيل الذى أخفاه أننى تحملت المحنة فى صمت ودون أن يرتفع لى صوت ، وهذا يدل ـ كما قال ـ على أن لدى قدرة رائعة على مواجهة المواقف العسيرة فى هدوء وسيطرة كاملة ، وكانت سعادتى أنا

أكبر من سعادة الدكتور مراد ، لأن جهاز التسجيل لم يسجل اللعنات التى رحت أصبها طول الليل على رأس هذا الدكتور ، وذلك لسبب يرجع إلى خلل فى جهاز التسجيل نفسه .

★ ★ ★

قال لى الدكتور مراد : إن الزواج نظام عظيم لا يفسده إلا المتزوجون ، فإن المتزوجين التعساء هم الذين أقدموا على الزواج وفى نفوسهم علل وأمراض نفسية وصراعات ، ولهذا تفشل زيجاتهم .

ثم ارتفع صوته مؤكدا : ولابد أنك معقد .

أبدا يا عمى .

أشار بيده أن أصمت ثم قال : عليك أن تفهم أن علاقة الزوج بالزوجة هى امتداد للعلاقة الانفعالية بالأم ، وكل ما لقيته من والدتك فى طفولتك المبكرة سوف تدفع ثمنه ابنتى المسكينة طمطم . . تمدد هنا واسترخ تماماً وأجب عن كل سؤال بدقة حتى أكتشف عقلك . .

يا عمى أنا لست معقدا . .

إخرس . .

غفرت لرجل عنفه ووقاحته وهو يدفعنى نحو الشيزلونج ، فهو ـ على الأرجح ـ يقوم باختبار لقوة أعصابى ومدى قابليتها للاستثارة ، وربما يكون تعامله مع المجانين المتهيجين قد علمه غلظة المواجهة ، وفى كل الأحوال كان يجب أن أستلقى على ظهرى مطيعاً ، إذ أنه بعد أن دفعنى دق الجرس مرتين فدخل على الفور ممرض له قامة مصارع رومانى وفى يده حبل ، غير أنه ما لبث أن انصرف بإيماءة من الدكتور .

فى سبيل طمطم كل شىء يهون . . والحق أن طمطم كانت تشجعنى على الصبر وقوة الاحتمال ، وهناك أيضاً إبراهيم أبو الطيب الذى كان يخفف عنى كثيراً ، وهو شاب من المترددين على العيادة توثقت بينى وبينه الصلة والتعاطف .

لقد تعرضت لاختبارات نفسية صعبة واجتزت امتحان الموقف الأوديبى ، وتأكد للدكتور مراد أننى لست (أوديب) الذى قتل أباه

لايس ملك طيبة من أجل أمه الملكة لوكاستا .

قال الدكتور مراد : أريد أن أطمئن تماماً من ناحية العلاقة بالأم ، فالفترة الأولى من حياة الإنسان يعتمد خلالها على الأم ، وقد يفشل الرجل فى عدم الخروج من هذه المرحلة فيظل تعلقه بالأم وحاجته إلى قربها كما كان فى الطفولة ، وهذا الرجل حين يتزوج يختار الزوجة التى يشعر فى وجودها بنفس الإشباع العاطفى الذى كان يحس به مع أمه ، ومثل هذا الرجل يتحول إلى زوج (نكدى) لأنه يريد (الأخذ) فقط .. فهو يكيل الاتهامات لزوجته إذا بدا منها أقل تقصير فى رعاية شئونه والاهتمام به .. إن كل سعادة زوجية أو كل تعاسة بين زوجين تتكون نواتها فى المرحلة الأولى بين الطفل وأمه .

وسكت الدكتور مراد ثم سألنى : قل لى يا وائل : هل استيقظت مرة وأنت طفل طلباً للرضعة فتأخرت أمك ؟

قلت فى حرص وكأنى أسير فى حقل ألغام : كلا .. استبعد هذا .

قال : هل تعرف أن الدقائق القليلة التى تأخرت خلالها والدتك فى تقديم الرضعة قد سببت لك صدمة نفسية ترسبت فى أعماقك ؟

وهل تعرف أن ابنتى طمطم سوف تدفع ثمن كل هذه الصدمات ؟

اكتفيت بأن استعيذ بالله مستبعداً كل مكروه بسبب تأخير الرضعة ، لكن الذى لم أكن أتوقعه أبداً أن يأتى الدكتور مراد إلى بيتنا فى زيارة مفاجئة ليستكمل معلوماته عن طفولتى المبكرة ، وقالت له أمى الطيبة ـ رداً على سؤال له ـ إننى كنت أوقظ العمارة كلها طلباً للبزازة .. ولم أجد أية وسيلة لوقف تدفق حديث والدتى التى مضت تقول : إنها أطلقت علىّ اسم (الكلبوظة) لأننى كنت سميناً جداً ، فكانت تنتزع البزازة من فمى انتزاعاً ، إذ كنت نهماً لا أكتفى أبداً بما يقدم لى من لبن .

هنا التفت نحوى الدكتور مراد كمن ينظر إلى وحش منقرض ثم طلع فجأة بأسئلة وجهها إلى أمى : ماذا لاحظت عليه بعد ذلك ؟ كيف كان يتصرف ؟ هل ظهرت عنده مثلا ميول للعض ؟

قالت أمى متهللة الأسارير : والله كأنك كنت تعيش معنا

يا دكتور . . لقد كان يعض كل لحم بشرى وغير بشرى يصل إلى أسنانه . . تصور أنه عض مرة قطته الصغيرة نهربت من البيت ولم تعد . تعد .

هز الدكتور مراد رأسه كمن وقف على أسرار مؤسفة للغاية ثم نظر نحوى قائلاً . عندك (عضاب فمى) .

قلت ويدى على قلبى : ما معنى (عصاب فمى) .

فهمت من الدكتور مراد أن الرضاعة تمثل قيمة كبرى لحياة الطفل النفسية ، وإنها تنقسم إلى فترتينَ : ما قبل ظهور الأسنان وما بعد ظهور الأسنان ، وهذه الفترة الأخيرة تعتبر مرحلة عدوانية هدامة ، وإن الاضطرابات النفسية التى صاحبت مرحلة نشاطى الفمى نتج عنها (سادية فمية) ، وهى رغبة لا شعورية فى العض والاتلاف بالأسنان .

لم تفهم أمى من حديث الدكتور إلا الجملة الأخيرة فابتسمت تقول بنفس العفوية : عندك حق يا دكتور ، كنا نشترى التفاح ونضعه فى سلة الفاكهة فيتسلل وائل ويقضم من كل تفاحة قطعة فيفسده جميعاً ، كذلك كان يفسد كل مشابك الغسيل بالعض فيها ولم يسلم قلم رصاص من أسنانه الحادة ، وعزلوه فى الحضانة بعيداً عن الأولاد لأنه كان يدمى لحم الأطفال بعضه !

وضحكت والدتى وهى تربت على ظهرى : وائل طول عمره عضاض لكن دمه خفيف .

دمى خفيف ؟

لم تدرك والدتى الطيبة أبعاد المأساة التى سببتها لى ، فقد أعلن الدكتور مراد بعد هذه الزيارة البيان رقم واحد . . وهو أن أمى خضراء العينين وأن هذا هو سر تعلقى بطمطم ، وكان البيان رقم اثنين أن عندى رواسب عدوانية مدمرة تجاه والدتى التى دأبت على انتزاع البزازة من فمى ، وهذا يجعل أمى ـ فى أعماقى اللاواعية ـ هى العدو اللدود الذى كان يريد أن يحرمنى من الصلة الوحيدة بينى وبين الحياة : وكان البيان رقم ثلاثة أننى أستعد للانتقام من أمى فى شخص طمطم ، وكان

البيان رقم أربعة أننى أعانى من العصاب الفمى وأننى ممكن أن أتحول فى ثوراتى إلى كلب وولف .

لقد بكت طمطم كثيراً بعد أن كشف لها أبوها أننى لا أحبها لشخصها ولكن أحب فيها أمى ذات العينين الخضراوين ، ولأن طمطم شديدة الغيرة إلى حد الجنون ، فقد تفوهت بألفاظ جارحة وهى تنعتنى بالخديعة والغش ، وهنا اضطررت أن أنسحب من مكاننا المفضل على شط النيل ، إذ خشيت أن أفقد أعصابى وأنقض عليها بأسنانى . . فلقد بات الاعتقاد راسخاً عندى أن تشخيص الدكتور مراد صحيح لكثرة ما قال وحلل واستشهد بالوقائع . . إن الرجل الذى رأى فى منامه أنه يأكل الكنافة فاستيقظ ليجد أنه أكل اللحاف ، واقعة ـ فى رأى الدكتور مراد ـ لا ينبغى أن تروى على سبيل النكتة ، بل هى حقيقة يمكن أن تحدث لى أنا المصاب بالسادية الفمية .

عدت إلى البيت فاتصلت بى طمطم لأسمع منها كلمتين : أنت كلب ، ثم وضعت السماعة بعنف . . ولم أعرف إن كانت طمطم تقصد إهانتى لأننى تركتها وانصرفت ، أم أنها تشخص الحالة التى اكتشفها أبوها .

لقد قاطعتنى طمطم لكننى لم أنقطع عن التردد على العيادة ، وأصبح إبراهيم أبو الطيب يفتح صدره وقلبه لشكواى ولوعتى ودمعتى أحياناً . فهو إنسان عاقل رغم ما يحيط به من شكوك حول قواه العقلية . . ولقد أحضره أهله إلى الدكتور مراد لأنه ترك الدراسة الجامعية فجأة وأعلن انه لن يضيع وقته سدى فى التعليم ، فالعلم فى رأيه سوف يتوصل بأسرع مما نتصور إلى برمجة المخ وتخزينه بالأفعال والتصرفات ، فيصبح الإنسان عالماً فى الطبيعة أو عالماً فى الزراعة أو الفلك ، مؤدباً مهذباً ، تتسم تصرفاته بالرقة فى معاملة الآخرين ، ومادامت مراكز العاطفة فى المخ ستتم برمجتها ، فإن كل إنسان سوف يحسن الحب بالإخلاص والوفاء . ولن يكون هناك شقاق أو خيانة أو إيلام أو لوعة أو انتقام ، بل بيوت سعيدة يسودها الحب وحده .

وأضاف إبراهيم : وعندما تتم برمجة مخ الإنسان فلن تصبح البزازة

التى رضعتها وأنت وليد هى مشكلتك الكبرى مع شريكة الحياة وأنت رجل .

هل هذا كلام إنسان مجنون ؟؟ لا يمكن .. لقد شعرت بالارتياح لحديثه المقنع فقلت له : لا تتصور يا إبراهيم كم أصبحت شديد التعقيد من البزازة .

قال إبراهيم أبو الطيب : إن الدكتور مراد صور لك البزازة على أنها أداة هدم وجعلها منفرة وبغيضة .. لماذا لا تحاول الاقتراب من هذه البزازة التى افترقت عنها منذ سنين طويلة ؟ لماذا لا تعاشرها وتجعلها أمامك حتى تألفها ؟ إن التعود يخلق العاطفة حتى بيننا وبين الأشياء . جرب .. من يدرى ؟

كانت سعادتى لا توصف عندما اتصلت بى طمطم تليفونياً تصالحنى .. لكنها ما لبثت أن قالت إنها تبادر بالاتصال بى لأننى تافه ، وقد رأيت لحظتها أن هذه الكلمة الجارحة هى اختبار لتحريك ميولى العدوانية الدفينة نحو أمى وممارستها مع البديلة طمطم ، فافتعلت ضحكة متسائلا : أنا تافه يا حبيبتى ؟ فردت قائلة : ولم أر أشد منك تفاهة .. قلت بنفس النبرة المرحة : لماذا يا روحى ؟ أجابت : لأنك لم تتصل بى أيها الحمار .

حمار ؟

راجعت حساباتى بسرعة واستنتجت على الفور من هذه الاستثارة المتصاعدة أن أباها يسجل المحادثة ليرى مدى عدوانيتى ، لكن الذى أزعجنى كثيراً أن كلمة حمار جعلتنى أضغط فكى بشدة ، مما قد يعنى أن طمطم لو كانت أمامى فربما انقضضت عليها بأسنانى .

انتهت المحادثة بأن نلتقى فى مكاننا على شط النيل .

وكم كانت طمطم رقيقة وحانية فى هذا اللقاء عكس ما توقعت ، وبدا لى أن كل إساءاتها كانت متعمدة وبدافع من والدها لاختبار سلوكى فى ردود الأفعال ، وأفقت من خواطرى وطمطم تسألنى معاتبة : ألم تنس شيئاً اليوم يا حبيبى ؟ وأدركت أنها تسألنى عن الشيكولاتة البيضاء التى اعتدت أن أقدمها إليها فى كل لقاء ، جذبت

حقيبتى من المقعد المجاور ، وما إن فتحتها حتى قالت طمطم فى دهشة : ما هذه البزازة التى فى حقيبك ؟؟

كان من العبث أن أشرح لها نصيحة إبراهيم أبو الطيب فى التعايش مع البزازة ، غير أنى فوجئت بها تقول : يبدو أن ما قالته أمك لأبى صحيح تماماً .

ـ لقد قالت أمى الكثير فماذا تقصدين ؟

ـ لقد قالت أمك إنها شاهدتك وأنت تضع البزازة أمامك طول الليل وتكلم نفسك .

ـ هذا صحيح .. لا جدوى من الإنكار .

ولكن أبى يقول إن هذا دخول صريح فى مرحلة الاختلال العقلى .

ملأنى الغيظ والقهر فأمسكت بيدها وأنا أضغط فكى منفرج الشفتين ولا أعرف ماذا قلت عن أبيها ، ولا هى سمعت ما قلته ، فقد انسحبت خارجة بسرعة وهى تهددنى بأنها سوف تستغيث بعمال المحل .

★ ★ ★

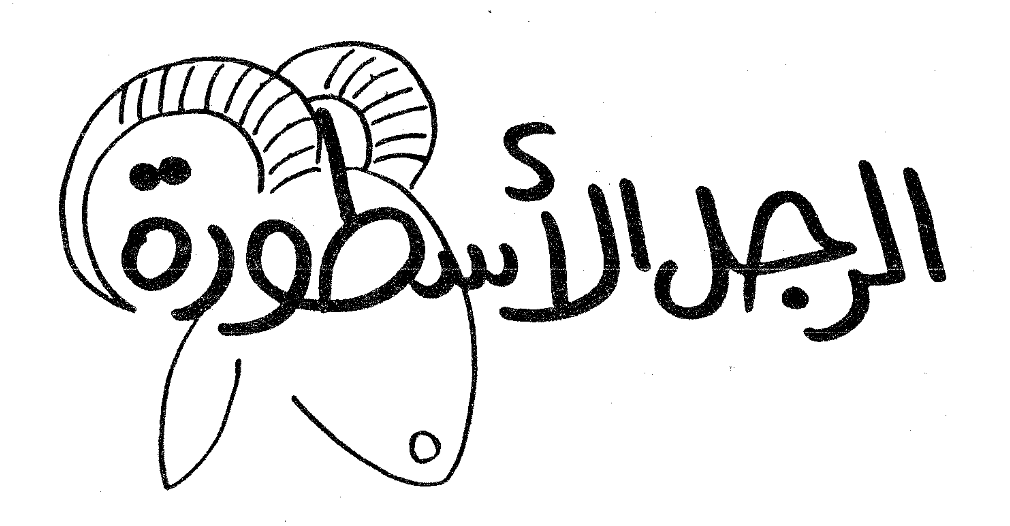
أعلن الدكتور مراد أنه رفضنى زوجاً لابنته لأننى إنسان غير سوى ملىء بالعلل النفسية المدمرة ، وأننى أجتاز البوابة الكبرى إلى عالم المجانين .

لكنى فى الحقيقة كنت أجتاز البوابة الكبرى إلى عالم الأحزان ، فقد اكتشفت أن الشاب الوسيم إبراهيم أبو الطيب كان هو العريس الذى رشحه الدكتور للزواج من ابنته ، وأنه كان يتردد على العيادة مدعياً أن أهله أحضروه للعلاج نفسيا ، وانه اجتاز الاختبارات جميعاً بتفوق نادر ، وأنه استطاع فى فترة وجيزة أن يتسلل إلى قلب طمطم .

كما قتلنى ببطء أن تحب طمطم إبراهيم حباً جنونياً . كما أحبتنى ، وأن تغار عليه مثلما كانت تغار علىَّ .. لقد كانت نهاية العالم بالنسبة لى .

ورغم أن الذى ضيعنى بزازة ، فإننى أدين بحياتى للبزازة ، فقد صحا الناس ذات يوم ليجدوا أن طمطم قد استراحت من الغيرة وعبأت إبراهيم أبو الطيب فى أكياس بلاستيك نثرتها فى أنحاء المدينة .




الرجل الأسطورة

لا غنى لى عن صديقى زاهر !

إننى أرتاح كثيراً - ككل أصدقائى - إلى صحبته ، فهو ليس إنساناً غير عادى فقط ، بل هو اختراع باهر ، إذ أن عنده أخلاقاً .

وهو يتفرد بسمات وسجايا رشحته لكى يبرز فى مجال العلاقات العامة ويتقلد فيها أعلى المناصب ، ولاشك أن تخصصه فى العلاقات العامة أضاف إليه التمرس فى فن معاملة الناس ، فبرع فى الأمر المستحيل : سيكلوجية إرضاء الكل .

ولا يستطيع إنسان أن يشهد بأن زاهر فقد أعصابه مرة ، أو رفع صوته الهادىء ، أو خانته اللباقة يوماً ، أو غابت الابتسامة عن شفتيه .

ولقد تسببت هذه الابتسامة الدائمة فى متاعب كثيرة أثارتها زوجته ، إذ اتهمته بأنه يبتسم فى وجه كل امرأة ، وحينما تأزم الأمر بينهما وأهانت زاهر بكلام جارح ظل يبتسم أيضاً ، ثم تبين أن عضلات فكه تصلبت على هذه الابتسامة ، ونصحه صديق لنا من رجال القانون بأن يرفع دعوى على المؤسسة التى يعمل بها لأن هذه الابتسامة تعتبر اصابة عمل ، فهو بحكم عمله مضطر للإبتسام فى وجه الجميع ، تماماً ، كمذيعة التليفزيون ، ورغم العلاج الطبيعى بتدليك عضلات فكه ، إلا أنه استمر يبتسم فى صحوه ونومه ، ويبتسم حتى وهو يجالس زوجته .

والحقيقة أننى أعتبر زاهر ضرورة هامة من ضرورات حياتى فهو الصديق القادر على العطاء دون مقابل ، وهو يترك لى متعة الحديث عن

نفسي كما أشاء ، فأحكى له عن مغامرات نسائية لم تحدث أبداً كشأن معظم الرجال ، وأشعر بغبطة عظيمة وهو يشيد بمواهبي فى فن مناورة النساء ويبدى إعجاباً بلا حدود بخشونتي فى معاملتهن ، ثم إن زاهر يمثل ركناً هاماً فى حياتى الأسرية ، فإنى أعتمد عليه تماماً فى فض الاشتباك بيني وبين دانيللا التى أدللها باسم دونا المجنونة ، فهى انفعالية المزاج عالية الصوت كمعظم نساء الجنوب الإيطالى ، وهى مجنونة بحبى ، وهى لا تتورع فى ثورات غيرتها أن تقذفنى بما تصل إليه يدها ، وبفضلها عرفت أن الزواج يساعد على اكتساب الخبرة فى الاسعافات الأولية .

إن الحياة مع دانيللا صعبة ، والحياة بدونها شبه مستحيلة ، فأنا أعشقها حقاً ، لكن المشكلة أنها تعتقد أننى دون جوان خطير لسبب يتعلق بوسامتى واهتمامى البالغ بملبسى وأناقتى ، مع أننى لست دون جوان ولكنى أدعى ذلك أمام خاصة أصدقائى ، إذ أميل إلى أن أجنح بخيالى إلى خلق قصص وهمية أحكيها لزاهر بالذات ستراً للمواقف التى أتعرض لها فى سورات غضبها ، فهو يرانى فى مهانتى أستعطفها وأسترضيها ، ولابد أن يعرف أننى مرغوب من الأخريات اللاتى أزعم فى حكاياتى أننى أعاملهن بغلظة وجفاء .

ولقد زاد الأمر صعوبة أن دانيللا عندما تنتوى إثارة أزمة تزيد من جرعة الشراب حتى تصبح جرأتها أكثر ويدها أطول ، وقد كانت دانيللا تؤكد لى أنها لا تحب شرب الخمر ولم تجربه أبداً إلى أن ألحت عليها صديقة دعتنا ذات ليلة فشربت دانيللا الكأس الأولى ثم مالت على أذنى تهمس : هذا الويسكى مغشوش .

ليلتها أبدى زاهر انبهاره بحاسة التذوق عندها وكيف تكتشف الأشياء دون سابق تجربة ، واستطاع أن يقنعنى بذلك ، ولقد علمنى زاهر أشياء كثيرة لعل أهمها ألا أستسلم للحظة انفعال طائشة ، وعرفت عن تجربة أن لحظة غضب أنفجر معها فى وجه دانيللا قد تجر مشاكل أكبر ، مثلما حدث ذات يوم وأصرت دانيللا على أن أطلقها وأن تقاضينى لأننى ضربتها ، وقد بذل زاهر يومها جهداً مضنياً فى وساطته

وقال لها فى سياق الحديث : إن هناك مثلاً أسبانياً يقول : إذا ذهبت إلى المحكمة من أجل خروف فسوف تفقد البقرة ، وانتهى الأمر بأن قالت دانيللا وهى تنظر نحوى : حسناً . . لن أذهب إلى المحكمة من أجل هذا الخروف .

وتدخل زاهر وهو ينظر نحوى بغمضة سريعةٍ وهى حركة يأتيها عندما يرجونى أن أهدأ وأحنى رأسى للعاصفة ، فقد لاحظ توترى من أننى خروف ، وعندما مضت دانيللاإلى الداخل أقنعنى زاهر بأن الخروف فى هذا المثل الذى قاله ليس المقصود به أنا ، لأن الخروف فى المثل خروف أسبانى طبعاً .

ومع العام الرابع من زواجنا كنت قد تعلمت أن أروض نفسى على احتمال ثوراتها ، وربما شجعنى على ذلك سعادتى الخفية بغيرتها المجنونة علىَّ ، وأن غضباتها الحمقاء تنتهى أحياناً بارتمائها باكية بين ذراعى .

★ ★ ★

فى عيد ميلاد زاهر كان الحفل الساهر يضم جموعاً من أصدقاء الرجل الذى يمد جسور الحب والمودة مع كل الناس . وفى ركن هادىء بعيد عن الزحام التقيت بسيدة تبحث عن شعلة لسيجارتها . امرأة جميلة رائعة القوام . حالمة الملامح شاعرية الجمال يتسلل من عينيها سحر أخاذ . الابتسامة التى طالعتنى بها تذهب بالعقل . ماذا جرى لى ؟ لأول مرة منذ زواجى أريد أن أغازل امرأة !

أسرعت أفتش فى جيبى عن الثقاب الذى أحتفظ به باستمرار لأن دانيللا تفقد دائماً ولاعات السجاير . وقدمت نفسى للسيدة الجميلة بعد أن أشعلت سيجارتها .

ـ حسين الكريتلى .

ـ مدام بركات . . درية بركات .

ـ تشرفنا يا فندم

ـ سيجارة ؟

ـ شكراً . أقلعت عن التدخين .

ـ هذه قوة إرادة .
ـ إنها قوة إرادة زوجتى التى رأت أن تضيف نفقات سجائرى إلى مصروف يدها .
فضحكت السيدة الجميلة بينما تلفت حولى حذراً من دانيللا ، وعدت أتأملها بسرعة . ما أجملها ! ثم لماذا أنا ضعيف دائما أمام التسريحة الشنيون للشعر الأسود ربما لأن دانيللا ـ منذ أن عرفتها ـ تذهب إلى الكوافير وتدفع له حتى ينكش شعرها على طريقة أمنا الغولة . هل نكش الشعر يدفعون من أجله الفلوس ؟؟
أمام مدام بركات شعرت بالولد الشقى يتحرك فى صدرى . أريد أن أغازلها . وجدتنى أقول :
ـ إنى مستعد أن أشرح لك فى التليفون كيف أقلعت عن التدخين . ما رقم تليفونك ؟
قالت ولا تزال الضحكة على شفتيها : ومن قال لك إنى أريد أن أقلع عن التدخين ؟
قلت : ومن قال لك إنى أريد رقم التليفون لهذا السبب ؟
قالت : ولماذا إذن تريد الرقم ؟
قلت : لأطمئن إن كان يقبل القسمة على ثلاثة .
قالت : اطمئن .
قلت : الحمد لله .
ضحكت مدام بركات ، وفى نفس اللحظة رأيت دانيللا مقبلة ، قالت من بعيد : أين أنت ؟
فى محاولة فاشلة لكى أخفى ارتباكى قلت لمدام بركات : هذه زوجتى دانيللا .. دونا يا عزيزتى هذه مدام بركات زوجة السنيور بركات .. واحد من أعز أصدقائى .
تبادلت المرأتان إيماءات الرأس من باب التحية ، إذ لم تبادر دونا المجنونة بمد يدها ، بل جذبتنى من يدى قائلة : إن الأصدقاء ينتظرون هناك ، ولقد توقعت أزمة بعد أن ضبطتنى أقف مع السيدة الجميلة ، لكن ـ لدهشتى ـ وجدت دانيللا صافية ، وبدا أنها لم تعر الأمر أهمية .

وعدت معها إلى الزحام ، ورحت أفتش بعيونى عن مدام بركات ، ومضى الوقت دون أن تظهر . وشعرت بحزن يمس قلبى .

فى اليوم التالى كانت دانيللا تتزين أمام المرآة عندما سألتنى : ما اسم صديقك العزيز الذى كنت تقف مع زوجته أمس ؟

سألتها فى عدم اهتمام مصطنع : من ؟ فؤاد زوج أمينة ؟

قال : أعرف فؤاد وأعرف أمينة .

قلت بنفس اللامبالاة : تقصدين رضا ؟

وقاطعتنى بنبرة مرتفعة : لا تتصنع البلاهة .. إنى أحدثك عن بركات .. هل نسيت بركات ؟

ـ آ .. بركات .. إنه من صفوة الأصدقاء .

★ ★ ★

أسرعت أحيط زاهر علماً بهذه الورطة ، ورجوته ـ إن سُئِل ـ أن يقول لدانيللا إن بركات واحد من أعز أصدقائنا ، وهنا استفسر زاهر عمن يكون بركات الذى أعنيه .

قلت له : ألا تعرف بركات ؟ كانت زوجته درية فى عيد ميلادك ، ولحسن الحظ لم تضبطنا دانيللا ودرية تقبلنى ..

ارتفع حاجباه فى دهشة والابتسامة على فمه : درية ؟؟

ـ أجل يا زاهر . انتهزت درية فرصة وجودنا فى الممر الخالى وقبلتنى قبلة خاطفة .

ـ لكنك لم تخبرنى من قبل بأن بينك وبين درية غراماً .

ـ غراماً عمره شهور .. ولابد أنى حدثتك عنها ولم أشر إلى اسمها ..

ـ الحق انك محظوظ مع النساء .. فإن درية حام حولها رجال كثيرون بلا جدوى .

قلت ضاحكاً : هل نسيت من أنا ؟ أنا حسين الكريتلى .

ـ طبعاً .

فترة صمت لثوان هززت بعدها رأسى متنهداً : هل تصدق إنها تهددنى بالانتحار ؟

ـ درية ؟
ـ تريدنى أن أطلق دانيللا لأكون لها وحدها . ومضيت أروى لزاهر لقاءاتى مع درية ، وجنح خيالى إلى بعيد يعبر فى أحلام يقظة عما جرى بينى وبينها ، ثم أفصحت لزاهر عن خوفى من زوجتى التى تولى مشكلة درية اهتماماً خاصاً . إن دانيللا لديها رادار عجيب تظهر على شاشته أية امرأة تلوح فى حياتى . أريد نصيحتك يا زاهر . ماذا ترى ؟
قال بعد تفكير : لماذا لا تبتعد عن درية ولو مؤقتاً .
قلت ساخراً : يا سيدى أنا مبتعد تماماً ولكنها تلاحقنى وتهددنى بالانتحار .. فماذا أفعل ؟

★ ★ ★

كنا نتناول عشاء خفيفاً أمام التليفزيون عندما بدت دانيللا قطة وادعة ودودا ، وقالت وهى تطعمنى بيدها إنها كانت على شىء من الوقاحة فى لقائها بمدام بركات ، وقد استقر رأيها أن تصحح هذا الخطأ ـ من أجل صداقتى بزوجها ـ وتدعو الاثنين إلى فنجان شاى ..
قلت دون تفكير : ولكنهما لا يحبان الشاى .
ترجمت دانيللا الارتباك الذى لم أفلح فى إخفائه إلى علامة استفهام كبيرة ، فاشتد إصرارها على دعوة بركات ودرية ، ولم أجد بداً من أن أقترح عليها إرجاء هذه الدعوة حتى يعود بركات من الخارج ، فقد زعمت أننى التقيت به فى الحفل وأنه سوف يقوم فى اليوم التالى برحلة عمل إلى أوربا .
وكالعادة ، فزعت إلى زاهر أستغيث به : كيف أدعو إلى بيتى رجلا لا أعرفه ولم أقابله فى حياتى ، وحتى إذا نجحت فى دعوته ، فكيف أظهر معه أمام دانيللا كصديقين قديمين ؟؟
فكر زاهر قليلا ثم قال : وكيف نتصل الآن بعمرو بركات ؟
ـ اسمه عمرو بركات ؟
استمر زاهر يقول : علينا أن نفكر بهدوء ، فالموقف دقيق . لأن الاتصال بعمرو بركات الآن مستحيل .

ـ لماذا ؟
ـ لأنه مات من ثلاث سنوات .
ـ ماذا تقول؟ أنت متأكد ؟
قال زاهر : طبعاً ، فقد كان زوج شقيقتى درية .
درية شقيقتك ؟؟
أصابنى ذهول عظيم عقد لسانى ، ماذا أقول لهذا الرجل ؟ هل أقسم له أن كل ما زعمته عن شقيقته كذب وافتراء ؟ هل أحلف له بكل المقدسات أننى لم أر أخته إلا لدقائق يوم عيد ميلاده ؟ هل أقول له إننى منذ أن عرفت دانيللا لم أعرف امرأة سواها ؟؟ لا أدرى ماذا كان يقول زاهر وذهنى غائب فى الذهول الكبير ، لكن كان يربت على ظهرى مهوناً ، ووجدتنى أقول له : بخصوص مدام درية أود أن أقول .
ولم يدعنى الرجل أكمل ، بل استحلفنى بألا أقول شيئاً لأنه يقدر ظروف كل إنسان ، ورجانى أن أنسى الموضوع كله حتى نتفرغ لإيجاد حل للمشكلة مع دانيللا .
أى رجل خرافى هذا؟ وأى صديق له أخلاق الملائكة ؟؟

★ ★ ★

وصلت المشكلة مع دانيللا إلى ذروتها ، واكتشف زاهر أنها اشترت مسدساً ، ولما صممت فى ثورة جنونية أن أترك البيت لأنها لن تعيش مع زوج خائن ، أعطانى زاهر إشارة بغمضة عينيه أن أحنى رأسى للعاصفة ، فحملت حقيبة ملابسى إلى الفندق ، وتفرغ زاهر لترويض تلك النمرة المتوحشة . لقد شاهدت جهود الرجل الجبارة وأنا أقف بالرصيف المقابل فى ليل الشتاء البارد حتى تطفأ الأنوار فى نوافذ بيتى بعد منتصف الليل ، ويهبط زاهر فأسرع إلى لقياه ، يؤكد لى : دانيللا سوف تعود إليك . هذا وعد .
وذات أمسية شعرت بحنين جارف إلى دانيللا . ذهبت إلى بيتى ، وفتح لى زاهر الباب وهو يرتدى بيجامتى . قال لى بابتسامة ونحن

بالباب : اغفر لى مظهرى . . ففى المناقشة من أجلك احتدت دانيللا وقذفتنى بكأس النبيذ وانسكب على بذلتى . ثم حانت منه التفاتة سريعة إلى الداخل أشار لى بعدها بيده أن أنصرف حتى لا يتعقد الأمر أكثر ، هامساً بوعده فى تأكيد : دانيللا سوف تعود إليك .

وما إن وصلت إلى الفندق حتى أجريت اتصالا مع مكتبى فى باريس ليرسل إلى زاهر بذلة فاخرة من أرقى بيوت الأزياء بدلا من تلك التى أتلفها النبيذ .

ذلك أقل ما يمكن أن أعبر به عن مشاعرى نحو تضحيات هذا الرجل ذى الأخلاق الرفيعة .




ليالى الليدى عبد الواحد

كنت شديد الإعجاب بصديقى عبدالواحد لأسباب كثيرة ، فهو أولاً مثل يحتذى فى قوة التحمل والصبر على المكاره منذ صباه ، فكان فى المدرسة يواجه مزاحنا بابتسامة لا تبالى ، ونحن نناديه باسم « ليتشو » ، وهو فيلم يمثل فيه البطل نموذجاً مضحكاً للغباء الشديد ، وكان محور سخريتنا من عبدالواحد اهتمامه البالغ بإطعام الكلاب الضالة وقطط الشوارع ، لكن عبدالواحد لم يكن غبياً أبداً ، بل كانت له ملامح جذابة توحى بالطيبة الشديدة ، كما توحى للبعض الآخر بالاعتداء على عقليته والنصب عليه .

وعندما أنجبت ناهد طفلها الأخير بكت وهى تتطلع إلى وجه الطفل الوليد ، وقالت لأمها : إنها ترى فيه قسمات عبدالواحد ، وهذا يعنى أن الولد سوف يكون متخلفاً عقلياً . وزارها عبدالواحد ، وتهلل وجهه لما رأى الطفل على صورته ، وعندما مسحت ناهد دمعة فى عينها ربت عبدالواحد على كتفها يسألها عن سبب بكائها ، فقالت له أمها : إن ناهد تعانى وهماً من أن الطفل سيكون متخلف العقل ، فاستعاذ عبدالواحد بالله وطمأنها بأن هذا لن يكون لأن الطفل يشبهه تماماً .

ولقد تصور عبدالواحد أن إنجاب هذا الطفل الأخير ـ بعد بنتين وولد ـ سوف يشغل ناهد عن ملاحقته والاشتباك معه منذ أن وجدت فوق سترته فتلة شعر نسائى طويلة وحمراء ، لكنها لم تستطع أن تقيم الدليل على أن الشعرة الحمراء لمدام أنطوان العجوز المتصابية فى الفيلا المجاورة ، وخاصة أن المدام كانت قد غيرت لون شعرها إلى الأصفر

منذ أسبوع مضى ، لكن شكها فى المرأة العجوز لم يتبدد تماماً ، واكتفت بمقاطعتها .

وأعود لأسباب اعجابى بعبدالواحد لأقول : إننى مبهور به - ثانيا - لأنه ينقلنى بحكاياته الشائقة إلى عوالم مثيرة لا أراها إلا فى أفلام السينما ، فإن مهنته السياحية تتيح له أن يطل على العالم من نوافذه الواسعة ، فهو دائم السفر ، وهو يرتاد المجتمعات التى تتألق فيها صفوة الناس فى الدنيا ، لكن تمنيت أن يصحبنى عبدالواحد فى رحلة من رحلاته إلى أوربا وأن أكون معه فى لوجانو وهو يلتقى بالجميلة سينثيا فى بيتها الصيفى الكبير على البحيرة السويسرية الشهيرة ، حيث يتجمع عندها فى الحفلات مشاهير السينما ونجوم المجتمع العالمى ، وخاصة الارستقراطية القديمة من بارونات ومركيزات وحفيدات الأباطرة والملوك .

وأول مرة أعرف حكاية سينثيا كانت فى ذلك اليوم البعيد . عندما دخلت مكتب عبدالواحد وهو متهلل الوجه ، يعيد سماعة التليفون إلى موضعها ، ولما سألته عن سر سعادته البادية قال لى : إنه كان يتحدث إلى سينثيا ، وقد استطاع أن يسترضيها بعد أن أبكاها فى الصباح ، فهى كانت تريد أن يلحق بها فى باريس ، وبكت عندما اعتذر عن لقائها لكثرة مشاغله ، غير أنه عاد واتصل بها ليعلن أنه ذاهب إليها مساء اليوم .

- ومن تكون سينثيا هذه ؟

- إنها ليدى تشسترتون ، ابنة دوق انجليزى . . ثم فتح عبدالواحد درجاً فى مكتبه وأعطانى صورة لامرأة باهرة الحسن ترتدى ملابس الفروسية وتمتطى جواداً .

- ياه ! ما هذا الجمال الخرافى ؟ شعرها أحمر . . آ . . الآن عرفت مصدر الشعر الأحمر العالق بملابسك . .

- فى سبيلها تهون كل المتاعب . . أنت لا تعرف كم أهواها .

- ولكن الصورة خالية من كلمة حب .

- حتى لا تجد ناهد دليلاً إذا داهمت المكتب وعثرت على الصورة .

مجرد صورة لامرأة ما . .

وأصبحت مستودع أسرار عبدالواحد .

قلت له : إعقل يا عبدالواحد . . تذكر بيتك وأولادك .

قال : إنها ليست نزوة كما قد تتصور ، لقد تمكنت سينثيا من قلبى ودمى وأعصابى وكيانى كله . هذه أول مرة أواجه الحب بعد زواجى . إن الحب معركة رهيبة تحارب فيها وظهرك إلى الحائط ولا مفر فى نهايتها من الاستسلام ، وقد استسلمت وانتهى الأمر .

ـ وناهد يا عبدالواحد ؟

ـ كانت قصة حب مدرسية . . بدأت بكلمات غزل من جانبى فى شارع الجامعة . هددتنى يوما باستدعاء الشرطة ولكنها لسوء حظى استدعت المأذون .

وتنهد عبدالواحد ثم قال : إننى أكره العضلات فى المرأة ، وناهد كلها عضلات ، وكل عضلاتها تتجمع فى فمها . هذا شىء بغيض مزعج . إنها تناقش كثيراً وتحلل كثيراً وتستنتج كثيراً ويعلو صوتها أكثر . . عندما كانت تقابلنا مشكلة كانت تقول لى : إنها سوف تصل إلى الحل السليم إذا لم أتدخل أنا بأفكارى . . حتى اخترت أن ألوذ بالصمت . . منذ سنين والصمت هو العملة المريحة التى أتعامل بها فى البيت . . أين ناهد من سيثيا التى تتطلع نحوى دائماً بعينين حانيتين . كلما تحدثت إليها تقول لى : استمر فى حديثك . أحب أن أسمعك . أحب صوتك . أحبك .

ومضى عبدالواحد يقول فى نبرة ساخرة : تصور أن بنت الملوك هذه لا تخاطبنى إلا بقولها : ماى لورد . . يا سيدى !

بعد عودة عبدالواحد من الخارج ، أسرعت حليمة الشغالة إلى سيدتها ناهد وبين أصبعيها فتلة شعر نسائية طويلة حمراء عثرت عليها بياقة معطف « البيه » نفس نوع الشعر . نفس اللون . نفس الطول . هل يمكن أن يكون هذا شعر جارتنا مدام أنطوان التى عادت إلى صبغه باللون الأحمر ؟؟

استطلعت ناهد رأى زوجتى فأفتت هدى أن شعر مدام أنطوان

قصير ، وأن طول فتلة الشعر المضبوطة يؤكد أن صاحبة الشعر راقصة ، وربما يكون شعر باروكة رخيصة لإحدى « الأرتيستات » المتواضعات ، وعرضت زوجتى أن تعطى الشعر المضبوط لشقيقها شوقى ـ وهو طبيب شرعى ـ غيرأن هذه الفكرة لم تلق تشجيعاً مادام الطب الشرعى لم يجد اسم المرأة منقوشاً على شعرها .

وقال لى عبدالواحد : إنه ينبغى أن يكون أكثر حذراً وحرصاً وأن يتنبه لأى آثار تعلق بملابسه من روج وشعر قبل افتراقه عن ليدى تشسترتون لكنه أضاف قائلا : إن الأمر أصبح لا يعنيه كثيراً ، فهو يفكر جدياً فى الزواج من ليدى تشسترتون .

وكررت على مسامعه تلك الاسطوانة بعنوان : اعقل يا عبدالواحد .

★ ★ ★

قالت لى زوجتى : إن ناهد بحثت واستقصت بمعرفة حليمة الشغالة ، وهى تكاد توقن الآن أن صاحبة الشعر الأحمر هى راقصة درجة ثالثة اسمها سنابل .

قلت لنفسى : راقصة درجة ثالثة ؟؟ كم هى بلهاء صديقتك ناهد . إن عبدالواحد هو معشوق ليدى تشسترتون سليلة البيت المالك الإنجليزى . وآه لوعرفت ناهد كم تحبه بنت الملوك .

ومضت زوجتى تقول : إن هذه الشعرات الحمراء تكاد تدفع ناهد إلى الجنون ، ولقد عرضت عليها حليمة الشغالة أن تأخذ هذه الشعرات الحمراء إلى الشيخ طنطش أشهر منجم بالقلعة ليعمل « عملا » لصاحبة هذا الشعر يعود عليها « بالحنجل والمنجل والخراب المستعجل » وأوشكت ناهد أن تنفذ ما أشارت به حليمة الشغالة ، لولا أننى حدثتها تليفونياً عما قاله أخى الدكتور شوقى .

قلت لزوجتى : وماذا قال أخوك ؟

ـ قال : إن الطبيب الشرعى يستطيع أن يحدد هل هذا الشعر من باروكة أم من شعر حى ، كما يمكنه أن يحدد وقت انفصال الشعرة عن فروة الرأس ، وإذا كان الشعر لمدام أنطوان العجوز المتصابية فهذا

سوف يسهل اكتشافه . . لأن الشعر ـ مع الشيخوخة ـ تظهر به فقاقيع هوائية ، وإن كانت لراقصة فسوف تعلق به مواد ناجمة عن كثافة دخان السجاير فى الملهى الليلى .

سرحت بخواطرى فيما قالته زوجتى ، هذا تطور خطير فى قضية الشعر المضبوط . إن الدكتور شوقى يمكنه أن يحدد موعد لقاء عبدالواحد بحبيبته عندما يحدد الوقت الذى انفصلت فيه الشعرة عن رأس الليدى تشسترتون ، ثم من يدرى ، ربما يصل الدكتور شوقى إلى تفاصيل أخرى تكشف العلاقة بين الاثنين وتعريها .

اتصلت فى اليوم التالى بالدكتور شوقى ، ورجوته أن يخرج بنتيجة مناسبة لفحص الشعر ، تصب الماء على البيت الذى تكاد تأتى عليه النار .

وكان شوقى رائعاً حقاً ، فأعلن أن الشعر الذى فحصه هو شعر حيوانى ، وبالتحديد مقطوع من ذيل حصان .

لقد أفضت هذه النتيجة الطبية ـ شكلا ـ إلى أن تقوم زوجتى باقناع ناهد بأن عبدالواحد قد وقع عليه ظلم فاحش ، وأنه كان نبيلاً فى صبره وقوة تحمله لما فعلته به ، واستجابت ناهد وقالت : إنها سوف تسعى إلى أن تحسن علاقتها به تدريجاً حتى تصالحه دون اعتذار منها حفظاً لكبريائها ، مع إغلاق ملف قضية الشعر الأحمر وعدم الخوض فيها مرة أخرى .

★ ★ ★

أسرعت فى الصباح إلى مكتب عبدالواحد لأشيد بالدكتور شوقى الذى استطاع أن يحول مجرى القضية لصالحه ، أن يزعم أن شعر ليدى تشسترتون من ذيل حصان .

امتقع وجه عبدالواحد وهو يقول كمن أصابته صاعقة : ماذا تقول ؟

وسقط رأسه بين كفيه .

قلت له : ماذا بك يا عبدالواحد ؟

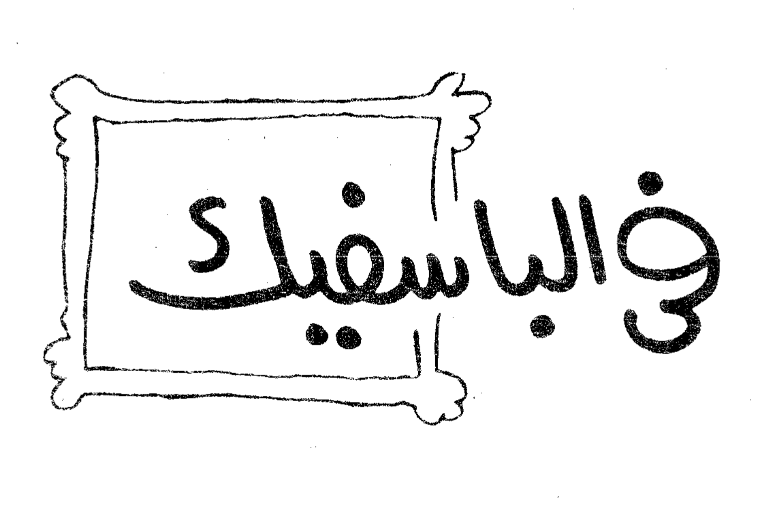
فرفع رأسه وهو يرد بسؤال آخر : متى حدث هذا كله ؟

قلت له : مساء أمس .

وغمغم كأنما يحادث نفسه : لقد أفسد شوقى كل شيء .

تحول الذهول إلى وجهى عندما قال عبدالواحد : إن الشعرات الحمراء هى من ذيل حصان فعلاً ، وإنه ظل زمناً طويلاً يحول الأنظار بهذه الشعرات عن المخلوقة التى تسلطت على كيانه وفشل تماماً فى مقاومة حبها وحنانها ، وأن سفرياته إلى أوربا كانت كلها إلى بيت فى شارع المماليك بالروضة حيث كان يلتقى بحليمة الشغالة التى أطلق عليها ـ خجلاً منى ـ ليدى تشسترتون !




في الباسفيك

مازلت أذكر يا سيدى ذلك اليوم الذى دق فيه جرس التليفون فى بيتى لأجد صوتاً يقول : باسفيك سرفيس ؟ وحسب تعليمات زوجتى فاطمة أجبت المتكلم بالإنجليزية : جود أفتر نون . . باسفيك سرفيس فى خدمتك ، وحسب تعليماتها أيضاً حركت قرص التليفون محدثاً تكتكة وكأننى سكرتير أوصل المتحدث برئيس العمل ، والتقطت فاطمة السماعة ورطنت باللكنة الأمريكية ثم ما لبثت أن قالت : طبعاً يا سيدى نحن نتكلم العربية باسفيك سرفيس فى خدمتك .

كان ذلك هو اليوم الأول لنشاط باسفيك سرفيس ، ومنذ ذلك اليوم وبيتى اسمه باسفيك سرفيس ، وبهذا الباسفيك سرفيس حققت فاطمة أمنيتها فى إنشاء مكتب يؤدى للعملاء خدمات غير تقليدية ، وقد تعلقت بهذه الأمنية ونحن فى رحلة بأمريكا ، إذ قرأت عن إعلان زواج نشر بإحدى الصحف وجاء فيه « شاب وسيم مليونير يرغب فى الزواج من فتاة يكون لها نفس أوصاف بطلة قصة الخريف لا يأتى غداً » .

فى خلال ساعات نفدت كل نسخ القصة من السوق وحقق مكتب باسفيك سرفيس صاحب الإعلان ربحاً كبيراً له وللمؤلف ، فالأفكار الجديدة ـ كما تقول فاطمة ـ هى أقرب طريق إلى النجاح ، من هنا نقلت اسم المكتب الأمريكى « باسفيك سرفيس » إلى مشروعها الجديد ، وتم نشر الإعلان فى الصحف عن بداية نشاط باسفيك سرفيس .

ورغم أن فاطمة فسرت سبب تسمية المكتب باسفيك بأن الإسم

يعطى عظمة وفخامة وثقة فإننى وجدت هذا التفسير ضعيفاً ومتهافتاً ، فاعترضت بشدة على هذا الاسم السخيف ، ولكن فاطمة لم تعلم بذلك ، إذ جاهرت باعتراضى أمام صديق مخلص لا ينقل الكلام ، كذلك أخفيت عن فاطمة استيائى من رفع سماعة التليفون والرد على العملاء بالانجليزية ، ولا أذكر ماذا قالت فاطمة تفسيراً لذلك ، ولكنى أيدتها تماماً فى وجوب الرد على التليفون بالانجليزية .

وميدان الأعمال ليس جديداً على فاطمة ، فقد بدأت حياتها العملية مصممة أزياء ، ثم خبيرة ديكور ، ثم تنظيم رحلات سياحية ، ولما رأت أن ماليتى قد أرهقت بسبب سدادى للديون التى تراكمت عليها قالت إنها قررت أن تعتمد على نفسها وتتجر فى الكلاب المدللة ، وتحول بدروم الفيلا إلى مستشفى لتوليد وتربية الكلاب .

ورغم الدخل الضئيل لهذه التجارة الجديدة ، فإن فاطمة كانت راضية وسعيدة جداً ، وربما لأن حمل الكلاب الصغيرة وتدليلها وإرضاعها أحياناً بالبيبرون كان يشبع إحساسها المتعطش إلى الأمومة ، وكنت أقضى معها فى البدروم وقتاً طويلاً لرعاية « الأولاد » ، وهى قد رأت أننى قد استفدت من صحبة الكلاب خصالاً طيبة ، فأصبحت ذكياً ، ووفياً أكثر ، وأسرع إليها لاهثاً عندما تنادى اسمى .

كان أفضل عملاء فاطمة هى مدام صابونجى التى تقتنى أربعة وثلاثين كلباً . وقد أبدت هذه السيدة رغبتها فى اقتناء كلب تشاوتشاو من السلالات الصينية ، وهو الكلب الوحيد بين فصائل الكلاب الذى ينفرد بسواد اللسان ، وعرضت مدام صابونجى ألفى جنيه ثمناً لهذا الكلب الأمر الذى حفز فاطمة إلى أن تعجل باتصالاتها للحصول على هذا الكلب . وعرفت أن هناك سمسار كلاب اسمه الدكتور محروس ، وأعطوها رقم تليفون مقهى يتردد عليه وتبين أنه حلاق كلاب سابق ، وبعدأسبوع صدق وعد الرجل وجاء بالتشاوتشاو وقبض مائتى جنيه وكسبت فاطمة ألفاً وثمانمائة جنيه !

لقد طارت مدام صابونجى فرحاً ، فقد كان الكلب جميلاً حقاً ، له طوق شعر كثيف حول الرقبة ، والشعر نفسه ذو ألوان متغيرة مع

الضوء . تشاوتشاو أصيل . غير أن فرحة مدام صابونجى لم تدم طويلاً ، فقد بدأ الكلب يشيب . هل تشيب الكلاب ؟ أسرعت به المدام إلى الطبيب ، فاكتشف أن الكلب من نوع اللولو الأبيض وليس تشاوتشاو ، ثم بإتقان قص شعره وصبغه بالألوان المتغيرة كما تم طلاء لسانه بحبر بلوبلاك !

كانت الصدمة قاسية فلزمت فاطمة الفراش . كانت تبكى وتعتريها نوبات عصبية تتهمنى فيها - كما يحدث فى أعقاب فشل كل مشروع - بأننى السبب ، وأن طول عمرى أريد أن أثبت أنها سيدة أعمال فاشلة . وفى كل مرة كنت أحتضن فاطمة وأهدىء من روعها وكانت تهدأ بذلك ، فهى تعرف أن كل اتهاماتها ظالمة ، وهى تعرف أيضاً أن حبى لها قد فاق كل تصور . وهل أتجاهل تضحيتها من أجلى ؟ هل أنسى بداية حياتنا وكيف أثبتت كل الفحوص أننى السبب فى حرمانها من الأمومة ؟

عندما كانت فاطمة تهدأ تماماً كنت أسمع صوتها الدامع يهمس فى أذنى : أعذرنى يا فاضل .. أنا لا أعرف ماذا أريد .

لكنى كنت أعرف ماذا تريد فاطمة : أن تكون أماً ، غير أن الأوان قد فات .

تعالى ننس كل همومنا يا فاطمة . سافرنا فى رحلة حول العالم ، وفى أمريكا استهوتها فكرة مكتب الخدمات وولد مشروعها الجديد باسفيك سرفيس .

لقد بدأ باسفيك سرفيس يعمل فى أداء الخدمات العادية ، لكن فاطمة استولى على اهتمامها عميل رأت فيه مجالاً مناسباً لتحقيق أفكارها الجديدة ، فهو فنان تشكيلى قال : إنه صاحب مدرسة جديدة فى التصوير ، وأن الكل يعتبره مجنوناً ، وهو لا يجد سبيلاً إلى عرض إنتاجه الجديد والخروج إلى دائرة الأضواء .

- قالت : إن اسمك أحمد برهان ؟
- ومتخرج فى كلية الفنون منذ عامين .
- هل تعرف الدكتور عبود ؟

ـ كان بدرس لى . إنه حمار كبير .
ـ كيف تقول عن أستاذ لك إنه حمار .
ـ فى رأيى أن كل من يعيش على الأفكار الجاهزة التى ابتكرها السابقون دون أن يبتدع شيئاً جديداً هو فى نظرى حمار . . هل الدكتور عبود قريبك ؟

ترددت فاطمة ثم قالت : أجل .

قال : حمار .

أكد الدكتور عبود لفاطمة أن أحمد برهان فنان عبقرى ولكنه لا يحسن تقديم نفسه بسبب غروره الذى يصل إلى حد الوقاحة ولهذا يعتبرونه مجنوناً ، ولكن كل لوحة لهذا الولد فيها دائماً الجديد .

واتصلت فاطمة بأحمد برهان وحددت له موعاً ليحضر لوحاته .

فى تلك الليلة قالت لى : هل تعرف يا فاضل إن أروع لحظات العمر عند المرأة هى لحظة ميلاد ، عندما تنبثق منها بين آلام المخاض حياة جديدة تطل على الوجود . لا يكفى أن تكون المرأة جميلة بل ينبغى أن تكون نافعة أيضاً .

وتنهدت فاطمة تنهيدة احترق لها قلبى وهى تستطرد : من بطن المرأة خرج عباقرة الدنيا الذين صنعوا الحضارة ، وأنا لم أنجب ، لكن لو استطعت أن أساعد هذا الفنان فكأنى أعطيت الدنيا عبقرياً ، غير أن هذا ليس سهلاً إنه يحتاج إلى معاناة . آلام مخاض . هل تقف بجوارى يا فاضل ؟

احتضنت فاطمة فى صمت .

عندما حضر الفنان أحمد بزهان متأخراً عن موعده أكثر من ساعة كانت فاطمة مشغولة مع إحدى العميلات ، فتوليت مهمة استقباله . شاب فى منتصف العشرينات . طويل القامة . نحيل . على وجهه تعبير اشمئزازى فطرى ، وفى نظرته الكثير من التعالى خصوصاً عندما ينظر نحوى . وضع لوحاته بعناية ثم قال : أبلغ المدام أننى هنا .
ـ المدام سوف تأتى حالاً .
ـ هل أنت السكرتير أم الخادم ؟

ابتسمت وأنا أتغاضى عن رد السؤال ، ويبدو أنه عرف من تلقاء نفسه إن كنت الخادم أم السكرتير ، إذ قال لى : هات لى فنجان قهوة سادة .

ـ القهوة ستأتى حالاً .

ضغطت الجرس وظللت محتفظاً بابتسامتى ، فإن الاحتكاك اليومى بالأصدقاء والأقارب والزملاء قد أكسبنى خبرة فى التعامل مع المضطربين عقلياً .

جاءت فاطمة وخرجنا إلى الشرفة الخارجية المطلة على الحديقة لنرى اللوحات فى ضوء الشمس ، ووضع أحمد برهان اللوحة الأولى على منضدة ملاصقة للحائط ، ودعانا إلى أن نتراجع خلفاً لكى نتذوقها .

ماذا نتذوق ؟؟ لقد كانت اللوحة كلها مطلية بلون أسود يميل إلى الزرقة . ونظرت إلى فاطمة مشفقاً عليها من الصدمة ، ولكنها كانت منصرفة إلى اللوحة باهتمام وأحمد برهان يشرح قائلاً : هذه اللوحة تمثل قافلة جمال فى الصحراء ، ونحن لا نستطيع أن نرى الجمال طبعاً لأن الليلة كانت حالكة الظلام ، غير أننا يمكننا أن نرى الجمال بشىء من تركيز الإدراك والنظر .

قلت له : ولكنى لا أرى جمالاً .

قال فى نبرة يشع منها الضيق : ركز وسوف تراها .

لاحظت حيرة على وجه فاطمة . هل هى بوادر خيبة أمل تتجمع فوق وجهها ؟

قلت محاولاً أن أخفف عنها : لو أشعلنا عود كبريت بجوار اللوحة ربما أضأنا الصحراء ورأينا قافلة الجمال .

لم يضحك أحد . وتجنبت أن أنظر إلى أحمد برهان . ويبدو أننى قد تجاوزت حدودى ، إذ قالت فاطمة وهى لا تحول نظرها عن اللوحة :

ـ ركز يا فاضل .

اقتربت كثيراً من اللوحة لكنى لم أر شيئاً ، بينما استمرت فاطمة تتفرس فى اللوحة إلى أن سمعتها تصيح : فانتاستيك ! إننى أرى الكرافان . . هذه هى الجمال تسير فى الظلام . . هل تراها يا فاضل ؟

اقتربت بعيني من اللوحة حتى كاد وجهي يلتصق بها ، وخطر ببالى أن أقترح على فاطمة احضار نظارة القراءة من الداخل ، ولكنى عدلت ، فماذا يضيرنى أن أقول اننى أرى فعلاً قافلة الجمال وفى آخرها تيس .

ولكن أحمد برهان قال فى قرف : أنا لم أرسم تيساً .

وقالت فاطمة : ليس فى اللوحة تيس .

ندمت على ما قلت ، ورحت أتفرس فى اللوحة مرة أخرى ، وفى رغبة مخلصة حاولت أن أعثر عبثاً على جمل واحد ، وأخيراً التفت نحو فاطمة وقلت : فعلاً . . ليس فى اللوحة تيس .

جاء الدكتور عبود بينما كان أحمد برهان يضع اللوحة الثانية للعرض ، وكانت اللوحة كلها أيضاً مطلية باللون الأصفر وفى أعلاها ثلاثة خطوط رمادية متوازية ، باهتة لا تكاد تبين . غير أن الدكتور عبود اقترب من اللوحة الأولى السوداء ثم قال : رائع !

قلت له بنبرة إعجاب : سيادتك تستطيع أن ترى قافلة الجمال وهى تسير فى الصحراء المظلمة . أنظر إلى خطوة الجمال الرشيقة . .

هز رأسه : رائع !

هل الرجل يجد أم يهزل ؟؟ هل حقاً يرى قافلة جمال ؟؟

ولم أعد فى حاجة لهذه الأسئلة بعد أن قال لأحمد برهان إن الألوان المستعملة فى الجمال ذكية جداً . وقال الدكتور عبود إنه يفخر بأن أحمد برهان تلميذه ، وإنه رائد وصاحب مدرسة جديدة هى المدرسة التركيزية ، وأفاض فى الحديث عن أحمد برهان .

أعدت فاطمة ميزانية باهظة للدعاية للمعرض واستئجار قاعة العرض بالفندق الكبير ، وإقامة حفل شاى ، وهى تأمل ـ مقابل هذه النفقات ـ أن تبيع نصف اللوحات لحسابها . ورغم أنى على يقين من أن أملها فى بيع اللوحات هو أمل إبليس فى الجنة ، فإننى لم أتأخر عنها ، فقد أسرعت لأعرض قطعة أرض للبيع وأنا غير آسف على مالى . ففاطمة تستحق التضحية من أجلها .

اتصلت سراً بجارنا الدكتور عاطف ، وهو رجل قانون جاف

الطباع ، ولا يعرف المجاملة ولا يقول إلا الحقيقة . قلت له إننى أريده فى أمر هام .

تسللت إلى منزله باللوحة المطلية بالأسود وقلت له بعد أن وضعتها أمامه : ما هذه ؟

قال كمن يخمن : هذه سبورة ؟؟

قلت : لا يا دكتور . أنظر جيداً هذه قافلة جمال تسير فى ليلة حالكة الظلام . هل تستطيع أن ترى الجمال ؟

واقترب عاطف بنظره وأنا أقول له : ركز من فضلك حتى ترى كل شيء .

تراجع عاطف وهو يقول : لا أرى شيئاً .

- بل لابد أن ترى وتعترف أمامى أن هذه اللوحة فيها قافلة جمال حتى أستريح .

- أعترف ؟! ماذا جرى لك ؟

أثارت كلمة « تعترف » غضب الدكتور عاطف ، ولست أدرى كيف تطور الأمر إلى مشادة ، ثم انتهى الموقف نهاية مؤسفة بأن أشار نحو باب الخروج قائلا : اتفضل .

★ ★ ★

جاء السيد الوزير وافتتح معرض الفنان التركيزى أحمد برهان ، كان هناك حشد كبير من علية القوم وهواة الفن وسيدات النادى .

لقد بيعت اللوحات جميعها . لوحات ليس فيها رسوم ، ولكنها مطلية بلون واحد الأصفر أو الأخضر أو الأسود .

هل أنا مجنون أم كل هؤلاء مجانين . لا يمكن مثلاً أن تكون السيدة التى اشترت اللوحة السوداء مجنونة لكى تدفع فيها خمسمائة جنيه ، فهى سيدة متزنة وترأس جمعية نسائية وتقتنى لوحات رفيعة المستوى ، ولابد أنها رأت قافلة الجمال فى اللوحة .

لقد نجحت فاطمة وأنجبت عبقرياً . الآن هى تشعر أنها امرأة جميلة ونافعة أيضاً . الحمد لله .

أقمنا حفلاً فى الفيلا بهذه المناسبة ، وفى منتصف الليل تسللت إلى منزل جارى الدكتور عاطف، وعندما فتح لى الباب قلت له إن اللوحة فيها قافلة جمال ، فصفق الباب فى وجهى وهو ينعتنى بالسكران . رجوته أن يفتح الباب لكى أناقشه ، وظللت أدق جرس الباب حتى جاءت شرطة النجدة وأمسكت بى .

هل أنا مجنون عندما حاولت أن أؤكد له أن اللوحة فيها قافلة جمال تمشى ؟ إن المجنون يا سيدى وكيل النيابة هو من يخرج عن إجماع المجتمع ، والمجتمع شاهد الجمال وهى تمشى في ظلام الصحراء . . فلماذا أصدرت قراراً بالكشف عن قواى العقلية ؟



الشبح

كان الزهو يملؤنى وسميحة تحدق فى الصورة التى ضبطتها بين أوراقى . الفتاة فى الصورة ـ كلوديت ـ جميلة حقاً ، بينما أنا أقف إلى جوارها أنظر إليها فى بلاهة واستسلام كما لو كنت زوجها .
ودون أن أدرى ، لم تترك سميحة بعد ذلك مكاناً به أوراق إلا وفتشته ، حتى عثرت على بطاقة فوقها هذه السطور بالفرنسية :
« سنة جديدة سعيدة أتمنى أن ألتقى بك فيها . هل شعرك المغولى لايزال حالك السواد ؟ أم دب فيه الشيب ؟ وهل لا تزال تصفر بفمك لحن أزنافور إنى أنتظرك ؟ الإمضاء كلوديت » .
كانت هذه الصورة وتلك البطاقة هما نقطة تحول حقيقية فى مسلك سميحة العاطفى . لقد زايلها ذلك التعالى الذى كانت تعمد إليه ، وسرى دفء فى كلماتها ، وتغيرت بالتأكيد نظرتها إلىَّ كإنسان مقطوع الصلة بخبرات الحياة اكتفاء بحمل ثلاث درجات دكتوراه .
غير أنها لم تسارع بالسؤال عن تفاصيل علاقتى بكلوديت ، بل حاولت جهدها أن يبدو ذلك مصادفة ، وشيئاً فشيئاً أفضيت لسميحة بما كان بينى وبين كلوديت ونحن زميلان فى جامعة باريس ، وقد أسعدنى كثيراً أننى أثرت غيرتها ، الأمر الذى حفزنى إلى أن أرضى فضولها بمزيد من التفاصيل ، وكيف أصبحت كلوديت خطيبتى تحت ضغط حبها المجنون لى .
وبدأ تدخل « أونكل » سليمان قريب سميحة .
وأونكل سليمان ـ كما تناديه زوجتى ـ رجل تجاوز الخامسة والستين ،

تفرغ تماماً ـ منذ إحالته إلى المعاش ـ لأعمال التنجيم ومسار الكواكب فى البروج وقراءة الطالع والكف وفتح المندل والتنويم ، ثم بين يوم وليلة أصبح رئيس مجلس إدارة الجمعية الروحية العالمية وتحت هذه اللافتة وضع عبارة اسمها : بإذن خاص من جلالة الملك شارل . شارل من ؟ وملك أى بلد ؟ لا أحد يدرى . فمن العسير مناقشته ، إذ سرعان ما يتهمك بالجهل .

وعندما قال لى « أونكل » سليمان إنه عيننى عضو مجلس إدارة بالجمعية الروحية العالمية وطالبنى بدفع مائة جنيه اشتراك اعتذرت له بأدب ، إننى لا أريد هذه العضوية ، ولم أكن أدرى أنه أصبح على صلة يومية بسميحة التى أوكلت إليه مهمة معرفة حقيقة عواطفى نحوها حتى عدت يوماً من الكلية لأجد سميحة تبكى لأن كوكب المشترى بدأ يدخل فى برج الحوت ، وتلك مصيبة كبرى ، ولماذا هى مصيبة كبرى يا سميحة ؟ لأن كراهيتك لى سوف تصل ذروتها يا عمر ، طيبت خاطرها كثيراً وأكدت لها أنها حبى الوحيد فى هذه الدنيا ، لكنى فوجئت بأن ذلك الرجل سليمان قد سمم أفكارها بحساباته الفلكية وقراءة خطوط كفها ، وقد تبرعت سميحة لجمعيته الروحية بمائة جنيه فبذل فى فلكياته جهداً مضاعفاً ، وصارحها بأن عليها أن تتوقع مستقبلاً كئيباً معى ، إذ من الواضح أننى سوف أفر منها إلى باريس وأتزوج من كلوديت .

قلت لها : ولكن كلوديت ماتت .

قالت : ماذا تقول ؟

قلت : البقية فى حياتك .

تهلل وجه سميحة بفرحة غامرة ، واستعادت هدوءها يوماً وبعض يوم ، ثم عادت إليها الأحزان لأن كلوديت لن تخرج من قلبى إلى الأبد ، فالإنسان عندما يموت حبيب له والحب فى الذروة يصبح النسيان أمراً مستحيلاً .

★ ★ ★

استيقظت سميحة من نومها مذعورة ، فصحوت لأجدها تضىء

النور وهى بالغة الاضطراب ، ولم أكن فى حاجة إلى أن أعرف أنها رأت فى نومها كالعادة خطيبتى السابقة كلوديت ، وأن الكابوس كان مرعباً ورهيباً ، فهى مرة تعدو خلف سميحة وتضرم النار تحت قدميها ، ومرة تخنقها بحبل ، ومرة تهوى بالسوط على قدمها ، ثم تطورت أحلام سميحة لتكشف عن جوانب مثيرة فى شخصية كلوديت كنت أجهلها تماماً ، فقد انتفضت سميحة من نومها مذعورة لتقول لى : إن كلوديت كانت تطاردها بطائرة !

أفقت على هذا الخبر الغريب بعد أن كنت أحدق فيها نصف نائم :

ـ طائرة ؟؟

ـ ومدفع رشاش . . تصور !

وبكت سميحة ليداهمنى احساس بالأسف أن تتحول تلك الفتاة الوادعة المثقفة كلوديت إلى واحدة من المافيا وتشن مثل هذه الغارات الدموية على زوجتى أثناء النوم . ويبدو أن كلوديت قد اكتشفت أن الطائرة كانت غير مجدية فتعقبت سميحة فى حلمها التالى بسيارة راحت تصعد خلفها فوق الأرصفة . وأبديت لزوجتى مزيداً من الأسف على هذا المسلك الشائن وضربت كفاً بكف لأن كلوديت تقود سيارة بهذا الجنون رغم أنها قتلت فى حادث سيارة . لكن هكذا الإنسان . . لا يتعظ أبداً .

والواقع أننى كنت شديد الحيرة فى حقيقة تلك الأحلام المزعجة التى تزعم زوجتى رؤيتها ، فاستعنت بالعالم النفسى الكبير الدكتور أنسى زميلى فى الجامعة . وأدهشنى أنه قال ـ بعيداً عن سميحة ـ إنها لا تبالغ . فكل إنسان فى حياته شبح . وقد أصبح شبح حياتها اسمه كلوديت . إن هذا الشبح يظهر لها مع كل مؤثر خارجى أثناء النوم ، فقربة الماء الساخن تحت أقدامها فى الفراش هى التى جعلتها ترى كلوديت ترش الأرض بالنار والبنزين تحت قدميها ، وصوت « فرملة » يترامى إلى سمعها وهى نائمة يتحول إلى سيارة تطاردها فى الحلم ، وإذا أصيبت قدمها بتقلص عضلى مؤلم فكلوديت تضربها بالسوط ، وإذا طنت بعوضة فوق أنفها فالحلم يصورها طائرة بمدفع رشاش !

غير أن سميحة لم تستجب إطلاقاً للعلاج اقتناعاً منها بأن تخلصها من هذه الكوابيس لن يتم إلا على يد أونكل سليمان الذى جعلها مجنونة بعالم الأرواح . فمنذ أن عرف أن كلوديت قد ماتت أكد لها أن علاجها أصبح مضموناً ، كما باتت سميحة تتحرق شوقاً إلى تحضير روح كلوديت لتسألها هل أنا لا أزال أحبها أم لا ؟

احتوتنا غرفة مظلمة فى بيت سليمان ، وراح هو ومساعده يقومان بإجراءات غامضة لم نفهم منها شيئاً ، ثم قال سليمان : هل حضرت الآنسة كلوديت ريشار ديكار ؟ وأعلن المساعد أن الذى حضر هو جراهام بل ، فانطلق سليمان يرحب بهذه الفرصة السعيدة التى تجمعنا بالمستر جراهام بل مخترع التليفون ، ثم استأذنه فى أن يستفسر منه عن خلل فى تليفون صديق له اسمه لطفى ، وكيف حار المهندسون فى أمر هذا التليفون ، إذ كلما يرفع لطفى السماعة فإنه يسمع إذاعة الـ بى . بى . سى ، وبعد مجهود جبار ووساطات مع السنترال تم إصلاح التليفون وأصبح لطفى يرفع السماعة فيسمع إذاعة صوت العرب .

غير أن المستر جراهام بل ، لم يدل بكلمة واحدة مفيدة حول الخلل فى هذا التليفون الإذاعى ، ثم تبين أن المستر بل ليس هو الكسندر جراهام بل مخترع التليفون ، ولكنه جراهام ماكدونالد بل حلاق اسكتلندى . وقال الحلاق الاسكتلندى إنه قد تم اعدامه بمقتضى القانون الذى أصدره الملك هنرى والذى يقضى بإعدام أى حلاق يباشر عمله ورائحة البصل تفوح من فمه .

لقد دهشت حقاً للحوار الذى دار بين سليمان وبين جراهام ماكدونالد بل ، فقد أبدى هذا الحلاق أسفاً شديداً لوجودى بين الجالسين ، وذكرنى بالاسم فقال : إن الدكتور عمر وصفى الجالس بينكم الآن شرير يستحق اللعنة . حاولت أن أسأل عن السبب لكن سليمان أسكتنى ، ومرت دقائق قبل أن يعلن المساعد عن حضور الآنسة كلوديت . . فسألها سليمان : هل تعرفين أحدا من الجالسين بيننا ؟ وعلى الضوء الخافت تحرك المساعد بوقع خطوات خاصة وهو يتجه نحوى ، ومد ذراعيه ووضعهما على كتفى . كان شيئاً لا يطاق ،

إذ فاحت من فمه رائحة بصل مميتة . ثم سألها سليمان : هل أنت مستعدة للأسئلة يا آنسة كلوديت ؟؟ وجاء الرد بأنها مستعدة تماماً .

إن كلوديت التى يزعم أن روحها قد حضرت لاتزال على قيد الحياة ولم تمت ، بل هي الآن واحدة من أبرز علماء البكتريولوجى ، وليس صحيحاًأن غراماً ربط بينى وبينها ذات يوم ، الصحيح أنها كانت تعتبرنى زميلاً وكنت أنا أعتبرها حبيبة . لقد كان حلم حياتى أن تكون كلوديت زوجتى . كانت تستهوينى بجمالها الوداع وعينيها الصافيتين . وكنت جباناً مثلما كنت طول عمرى مع الجنس الآخر ، فلم أجرؤ أبداً أن أبوح لها بحبى ، حتى صحوت ذات يوم لأكتشف أنها غارقة فى حب زميل آخر . وضاع الأمل . وعندما عثرت سميحة على صورتها معى وجدتنى أتحدث عنها مسحوراً ، ثم لم أجد بداً من أن أقول لزوجتى إن كلوديت قد ماتت فى حادث ، فالمؤلف الفاشل يقتل أبطاله دائماً ليتخلص من حل العقدة .

لكننى لا أنكر أن هذه الكذبة أسعدتنى كثيراً . لقد كانت لى فلسفة فى الكذب الأبيض . إن كذبة بيضاء قد تسعد الإنسان ، قد ترد له ثقة ضائعة بنفسه ، وقد تحقق له حلماً فى خياله فاته أن يحققه فى عالم الواقع . إن عظماء كثيرين يكتبون قصص حياتهم ويرصعونها بالأكاذيب . إننى لا أسميها أكاذيب . بل هى أمانى وأحلام عز عليهم تحقيقها .

هل أخطأت عندما وجدت الفرصة لأجعل سميحة تحبنى وتكف عن أن تعيرنى بأنى فأر كتب ، وأننى ضعيف الصلة بخبرات الحياة ؟ هل أخطأت عندما نجحت فى أن أصحح شخصيتى فى عينيها ؟ هل أخطأت عندما خلقت فى حياتها شبحاً يدفعها إلى أن تغار علىَّ بجنون ؟

كلا . لم أخطىء ، لولا هذه المشكلة التى أصبحت تواجهها فى نومها ، ولو تحقق شفاء سميحة من هذه الكوابيس التى حطمت أعصابها فسوف تتم سعادتى حقاً . إن كلوديت لم تعد تهمنى أبداً . سميحة فقط هى المرأة الوحيدة التى تهمنى كثيراً . . إنها المرأة الوحيدة التى أحبتنى ، فلم أعرف فى حياتى امرأة غيرها بادلتنى الحب .

أفقت من خواطرى على صوت سليمان يعلن أنه سوف يستأنف الجلسة غداً لأن الآنسة كلوديت ريشار ديكار مضت فجأة وتركت المكان .

* * *

فى اليوم التالى فوجئت بسليمان يزورنى بمكتبى بالكلية ، كان ودوداً للغاية على غير عادته ، قال لى إنه آثر أمس أن تنصرف كلوديت لأن المشكلة سوف تزداد تعقيداً ، لكنه طمأننى بأنه سوف يحاول الليلة « السيطرة » على الموقف ، ولديه خطة لكى تقول كلوديت كلاماً طيباً وتحل مشكلة سميحة . ثم انتقل إلى الحديث عن مهمة تنتظره فى الشهر القادم ، إذ سيعقد مؤتمر سياسى دولى روحى يعتبر الأول من نوعه ، فالمؤتمر سوف يضم عباقرة السياسة فى التاريخ : السياسى الفرنسى تاليران ، والنمساوى مترنخ ، والألمانى بسمارك ، والهندى نهرو ، والأمريكى جورج واشنطون ، والصينى ماوتسى تونج .

نظرت إلى الرجل فوجدته جاداً لا يهزل وهو يواصل قائلاً : إن توصيات هؤلاء الساسة الفطاحل سوف تحل مشاكل العالم المعاصر وسيكون لهذا المؤتمر صدى دولى كبير ، لكن المشكلة أن المؤتمر يحتاج إلى تمويل ، وهو قد جمع حتى الآن من المتبرعين سبعمائة جنيه فقط .

وعلى الفور أخرجت دفتر الشيكات وتبرعت بمائتى جنيه .

* * *

عقدت الجلسة فى اليوم التالى فجاء الحلاق الاسكتلندى جراهام ماكدونالد بل واعتذر عما بدر منه فى حقى ، ثم حضرت الملكة شجرة الدر وخاطبت سميحة زوجتى . واتضح أن جلالتها تعرفنى ، فقد قالت لسميحة أن الدكتور عمر وصفى رجل عظيم فحافظى عليه لأنه جوهرة نادرة ولاتتهميه بتهم باطلة ، وردت سميحة بناء على تلقين أونكل سليمان : سمعاً وطاعة يا مولاتى ، وأخيراً حضرت الآنسة كلوديت وقالت : يا سميحة اسمعينى جيداً . . الدكتور عمر يحبك كما لم يحبك أحد فلا تغامرى بسعادتك معه . ونفت كلوديت أنها تطارد سميحة فى النوم وأبدت لها الود والحب وأكدت أنها سوف تنام نوماً

هادئاً ، وقد أصرت سميحة على أن تسألها : هل تعتقدين أن عمر لا يزال يحبك ؟

قالت كلوديت : بل لا أخطر على باله أبداً .

انتهت المشكلة وتنفست الصعداء ومضت أيام وراء أيام وسميحة تنعم بنوم هادىء عميق . الحمد لله .

هل صحت نظريتى : أن الكذبة البيضاء يمكن أن تسعد إنساناً ؟؟

لقد كنت أجلس فى الحديقة مع سميحة نتبادل أحلى كلمات الحب عندما جاءنا الخادم ببرقية تقول :

أصل إلى مطار القاهرة العاشرة صباح الأحد القادم : إمضاء : كلوديت ريشار ديكار .

ولا أزال فى المستشفى أدعى الغيبوبة .



البوابة الذهبية

مهجة هانم هى حماتى العزيزة .

ولأن أبى ـ سعادة السفير ـ علمنى الكثير ، فإنى أجيد الإنصات إلى مهجة هانم ، وأجتهد فى أن تكون ملامحى مريحة وهادئة مهما كان الذى تقوله مزعجاً ، ولا أسمح لنفسى أن أقاطعها إلا إذا توقفت هى عن الحديث لسبب خارج عن إرادتها كالنعاس . وهى عندما تسألنى الرأى أطرق برأسى ثم أتكلم دون أن أقول شيئاً ، فقد علمنى أبى أن من الرأى ما قتل .

ومهجة هانم ليست امرأة عادية ، فهى زعيمة نسائية تؤرقها قضايا المرأة فى مواجهة طغيان الرجل ، وهى تؤلف الكتب ، وتكتب الأبحاث ، وتلقى المحاضرات ، وتعى تاريخ النضال النسائى ابتداء من صيحة مارى ولستونكرافت فى القرن التاسع عشر بإثبات حقوق المرأة ، حتى صيحة زعيمات السويد فى القرن العشرين بأن يتبادل الرجل والمرأة الأدوار ، فتخرج هى للعمل وكسب الرزق ويبقى هو فى البيت يرعى الأولاد ويطبخ ويكنس ويغسل ويمسح الباركيه ، وفى هذا الشأن تتبادل مهجة هانم الآراء والمقترحات مع صديقتها السويدية مدام هولف .

ولعل من حسن حظى أن مهجة هانم هى التى اختارتنى زوجاً لابنتها شيرين ، وهى فى ذلك تحكى كيف رأتنى فى حفل بالجامعة ، وتوسمت فى شخصى صفات الزوج المثالى . ودعتنى إلى فنجان شاى فى دارها ، وفى اللحظة التى التقيت فيها بشيرين ، وقعنا معاً فى شرك

الهوى من أول نظرة ، غير أن شيرين حذرتني من إغضاب والدتها مهجة هانم ، فالحب الكبير الذى ربط بين شقيقتها نازك وزوجها يوسف أصبح غير ذى نفع عندما تمرد يوسف على مهجة هانم ، فانتهزت أول خلاف بينه وبين نازك ونفخت فى النار واشتعل حريق أصبح من المتعذر إخماده ، وانتهى الأمر بعريضة دعوى تطلب فيها نازك الطلاق ، لأن يوسف متوحش يسىء معاملتها .

غير أنى نجحت فى أن أكون أثيراً عند حماتى ، فهى تحب كثيراً مجالستى ، وهى تشرفنى بين وقت وآخر بالإقامة عندى حيث يروق لها أن تعد أبحاثها ومحاضراتها ، وأصبح الطابق الثالث فى الفيلا مخصصاً لها ، أما الرباط الوثيق الذى أحكم الصلة بينى وبين مهجة هانم فكانت فطيرة البطاطس ، وهى فطيرة من ابتكارها ، يمتزج فيها معجون الدقيق بمعجون البطاطس بمعجون البيض بمعجون لحم اللانشون بمعاجين أخرى مجهولة ومقادير من السكر والفستق المبشور ، وقد كانت هذه الفطيرة السبب المباشر والقوى فى سوء العلاقة بين مهجة هانم ويوسف ، إذ اقترح عليها مرة مازحاً أن تضع « لحمة رأس » بدلاً من لحم اللانشون ، وتم الصلح بينهما بصعوبة بعد هذه السقطة من جانبه ، ثم اكتشفت مهجة هانم فيما بعد أن يوسف كان يساوم الخادم سراً على أكل الفطيرة بدلاً منه ، لكن الخادم طالب بحوافز مالية .

من جانبى أدركت مدى اعتزاز مهجة هانم بهذه الفطيرة وهى تقول : إنها توصلت إلى مكوناتها بعد دراسة عملية ، ولو كان المرحوم منصور بك زوجها الراحل حرص على أكلها لعاش إلى سن المائة ، لكنه كان عنيداً وعصبياً ومستبداً ويرفض أكل الفطيرة ، وهى تذكر يوم دخلت تعد له الفطيرة فى عيد زواجهما وفاحت رائحتها فى أنحاء البيت ، وعندما شم الرائحة وصاح من غرفته : ماذا تفعلين يا مهجة ، أسرعت إليه لتقنعه بأكل الفطيرة فوجدته قد مات بالسكتة .

وهى فى هذه المناسبة تؤكد أن قصر عمر الرجل يعود إلى قسوة

القلب وعنف الطبع ونزعة الاستبداد ، فالمستبد دائماً متوتر ، تنتابه حالات الغضب الهستيرى لغير ما سبب ، ولقد كانت تلح على منصور بك أن يأكل الفطيرة لأنها كانت تضع له فيها عقاراً مهدئاً للأعصاب ، غير أنه ما يكاد يشم رائحة الفطيرة حتى يتقمصه ألف عفريت .

لقد نجحت فى أن أجعل مهجة هانم فى ذروة الزهو بالنفس وأنا أرفع من قدر هذه الفطيرة بالإطراء المستمر وتسليط الضوء بين حين وآخر على جانب جديد من مزايا الفطيرة . وهى قد جاءت تستطلع رأيى فى أن الفطيرة ينقصها عنصر الفوسفور . . ألا يكون من الأفضل استبعاد معجون لحم اللانشون وإضافة معجون سمك التونة بدلاً منه ، سمك تونة بالفستق المبشور والسكر ؟ رحبت بالفكرة متحمساً ، واستقر رأيها على التنويع : مرة باللانشون ومرة بالتونة . هكذا صارت الفطيرة شغلها الشاغل ، وأصبحت أنا المشجع الأول وحقل التجارب . لقد رددت اعتبار مهجة هانم التى اتهمها منصور بك - كما علمت - أنها لا تصلح ست بيت وأنها تجهل أبسط مبادىء الطهو : طبق البيض المقلى ، وهذه الفطيرة كانت إنجازها الوحيد فى عالم المطبخ ، لكن منصور بك لم يرحب بتلك المحاولة الأولى فتوقفت عندها .

واشتهرت بأننى صاحب المكانة الأولى والخاصة عند مهجة هانم . المرأة الخارقة كما يسميها يوسف ، والمرأة الفولاذية ذات الكلمة العليا والأخيرة فى الأسرة التى تضم طابوراً طويلاً من الرجال العظام أصحاب المناصب الكبيرة المؤثرة . ولن أنسى يوم جاء الدكتور أدهم الشقيق الأكبر لمهجة هانم كى يتوسط فى أمر يوسف ، فقالت له إن حكاية يوسف ليست مشكلة فردية ، بل هى قضية عامة . قضية استبداد الرجل وتنكيله بالمرأة ، وتخليها عن هذه القضية خيانة لنساء الأرض جميعاً ، وانتهى الأمر بالدكتور أدهم الذى يحتل منصباً من مناصب صنع الرأى والقرار إلى أن يستسلم صامتاً ، ثم انتحى بى جانباً يطلب تدخلى فى الموضوع لما أتمتع به من حظوة لديها ، فأطرقت برأسى قليلاً ثم قلت له : أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة .

ويبدو أنه نصح يوسف بطلب وساطتى فزارنى فى المكتب وعرض قضيته بمنتهى الأمانة : غير صحيح أنه ضرب نازك . كل ما حدث أن تقلصاً عضلياً أصاب قدمها فصرخت تتألم ، وفيما هو يطلب إليها أن تخفض صوتها كان الخادم يرفع سماعة التليفون ليرد على مهجة هانم التى ترامى إليها صوت يوسف ينهر نازك وهى تصرخ ، وعندما أمسك بقدمها ليدلكها حتى يزيل تقلص العضلة اشتد صراخها ، ولا يدرى كيف تطور الأمر من جانبها إلى مشادة وهو يحاول مساعدتها . وانتهى يوسف من روايته واستعد لسماع رأيى ، فأطرقت برأسى أفكر ثم قلت له : إننى أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة .

مع الضغط من جانب رجال الأسرة لكى أتدخل ، بدأت أفكر فى أن أمهد لعملية « اقتراب » من الموضوع مع مهجة هانم ، لكنى لم أضع فى هذه النية أبداً موضع التنفيذ .

كنت أجتمع مع مهجة هانم فى الطابق العلوى للفيلا ثم أهبط إلى قاعة الاستقبال فى الدور الأرضى لأقول لرجال الأسرة أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة . لم يخطر ببال أحد منهم أن الاجتماع كان بشأن الفطيرة التى أصبحت تسيطر على تفكير مهجة هانم .

وبدا لى واضحاً أن تدخلى فى مشكلة يوسف مغامرة غير محسوبة وحماقة لا مبرر لها ، إذ جاءتنى مهجة هانم متهللة الوجه تعلن أنها ستقدم صور يوسف إلى المحكمة للتأكيد على أنه متوحش ، فقد قام صديق لها من علماء الأنثروبولوجى بدراسة صور يوسف ورأى أنه ينتمى - شكلاً - إلى نمط ارتدادى من البشر هو الإنسان البدائى الأول ، فإن جبهته شديدة الانحدار ، وعظام فكه بارزة ، وشعر حاجبيه كثيف . وسألتنى مهجة هانم : ما رأيك فى ضم هذه الصور إلى ملف الدعوى ؟ قلت لها أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة .

كان الدكتور أدهم يبدى إعجابه البالغ بى ، بينما مهجة هانم تسوى لنا فطيرة على النار . كان الرجل مبهوراً حقاً لا يصدق أن اخته عدوة الرجال يمكن أن تكون سلسة القياد معى إلى هذا الحد المذهل . قال همساً : هناك امرأة تولد وهى تحسد الرجل على تفوقه ومكانته وتعتبر

دورها فى الحياة مدعاة للإهانة والمذلة . . يقول علماء النفس : إن مثل هذه المرأة كانت تتمنى أن تولد رجلاً ، وهى إذا تزوجت حرصت أن تسيطر على زوجها وتتسلط عليه ، لكن منصور كان قوياً فلم تتمكن منه مهجة .

وواصل همسه فى نبرة مرحة : هل تصدق أن مهجة كانت تضربنى فى طفولتها أنا شقيقها الأكبر لأنها كانت تصر على أن تأخذ مكانى وأن ينادوها يا أدهم وينادونى أنا يا مهجة .

ضحك الرجل وضحكت ، وبينما كان يرجونى لكى أتدخل وأنهى مشكلة يوسف فاحت رائحة الفطيرة ، فنبحت كل كلاب المنطقة ، لقد أصبح نباح الكلاب مقترناً برائحة الفطيرة ، وكان تعليق مهجة هانم الذي تردده لى ضاحكة : لست وحدك الذى يحب فطيرتى بل الكلاب جميعاً . .

جاءت مهجة هانم بالفطيرة وقطعت جانباً منها للدكتور أدهم ، لكنه كان يحتفظ بروشتة الطبيب التى أبرزها لإعفائه من أكل الفطيرة فهو يعانى اضطراباً فى القولون .

واشتدت من حولى الضغوط لكى أتدخل وأنهى مشكلة يوسف الذى بدأ يتعجل الأمور متبرماً بعبارة أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة . ولقد علمنى أبى ـ سعادة السفير ـ أن أغامر بحساب حتى أحتفظ لنفسى بطريق للنجاة .

وغامرت . فاتحت مهجة هانم وقلت لها : إن القضية تؤجل لصالح يوسف لأن دليلاً لا ينهض على أنه قد ألحق بنازك إيذاء بدنيا . إنه متوحش أعرف ذلك يا سيدتى . . فلماذا لا نعطيه حبلا يشنق به نفسه . لماذا لا نتيح له فرصة العودة إلى نازك حتى يترك على بدنها آثاراً لوحشيته من كدمات وسحجات فنودعه السجن . أما الآن ، ونازك لا تملك دليلاً على وحشيته ، فكم أخشى أن نخسر دعوى الطلاق ويكسب هو دعوى الطاعة .

لانت مهجة هانم ببطء ثم قبلت الفكرة ، وأصبحت ـ فى الأسرة ـ أتخذ صورة الرجل المعجزة الذى يوجه مهجة هانم كيفما شاء . وعاد

يوسف إلى نازك ووعى الدرس وسار خلفى : عرف أن طريق السعادة مع زوجته له بوابة ذهبية اسمها فطيرة البطاطس .

إن أبى - سعادة السفير - علمنى كيف أحتاط دائماً وأحترز . لكن النجاح أحياناً يعمى . فقد اكتشفت مهجة هانم بعينيهاأن الفطيرة التى كانت تصنعها لى كل يوم كنت ألقى بها من الشرفة الخلفية إلى الكلاب الضالة ، وأصبحت الكلاب تنبح كلما فاحت رائحة الفطيرة من نوافذ المطبخ .

إن مهجة هانم ترفض أن تغفر لى ، ويوسف يتوسط ، ولايزال يقول لى : أرجو أن تكون النتائج مثمرة وبناءة .




وجاء الحصان الأبيض

اسمع يا كامل . . إن متاعب الحياة الزوجية أمر لابد منه مادام كل إنسان يعانى مساً هامشياً من الجنون . كل إنسان مجنون ، لكن المشكلة أن أحداً لا يعترف أنه مجنون ، خصوصاً إذا كان نزيل عنبر مجانين أو بيت الزوجية .

إننا يومياً نصافح ونكلم ونضاحك ونعايش ألوف المجانين فلا يظهر منهم ما يؤذى أو يكدر إذا استثنينا زوجتى المصابة بجنون النظافة ، فإنى أطير فى الهواء من حين لآخر منزلقاً فوق الباركية الذى تجهد زوجتى الخادم فى تلميعه أربع ساعات فى اليوم حتى انفض من حولها الخدم جميعاً ، خاصة بعد أن أشيع أن إحدى هؤلاء الخدم ـ وكانت فى شرخ الشباب ـ ماتت متأثرة بالتلميع . غير أن هناك ألواناً كثيرة من الجنون لا تؤذى غير صاحبها ، فأنت ترى رجلاً ضخم الجثة كمصارع الرومان يعانى جنون الرهبة من الظلام ، وآخر يعانى جنون الخوف من الأماكن المرتفعة ، وكان لنا جار مجنون بالحرص على كرامته بسبب وبغير سبب فقضى العمر يرفع القضايا ويطلب التعويضات ، ومعظم النساء مصابات بجنون الأماكن المغلقة ، ولنا أن نتصور حال البيت عندما تتزوج امرأة من رجل يعانى جنون الأماكن المكشوفة ، لكنها أسعد حظاً بالتأكيد من تلك التى اقترنت برجل مصاب بالبيرومانيا ، فهو يمكن أن يشعل النار فى فراشها دون تعمد إيذائها أو شوائها ، بل لمجرد هوس البهجة الشديدة بإضرام النار .

اسمع يا كامل . . أنا شخصياً لابد أن بى مساً من جنون ما ، تماماً

مثل زوجتك أو زوجتي ومثلنا جميعاً . .
توقفت عن الحديث لأسأل كامل :
ـ لماذا لا تتكلم ؟
ـ إنى أسمع .
ـ لماذا لا تسألنى مثلاً ما هو نوع جنونى ؟
ـ إنى أسمع .
ـ على العموم أنا لا أعرف إلى أى أنواع الجنون أنتمى ، ولكن زوجتى تعتقد أننى مصاب بجنون العظمة لأننى أرفض مسح المطبخ معها بعد رحيل الخدم هرباً منها . لقد أوصتنى ذات يوم بأن أظل أمسح حوض المطبخ بذلك المسحوق المنظف حتى أرى صورتى فى أرضية الحوض ، فظللت أحك أرضية الحوض مجتهداً فى تلميعها حتى خارت قواى ، وقلت لها فى النهاية إن لدينا مرايا كثيرة فى البيت يمكن أن أرى فيها صورتى ، وغادرت المطبخ وأنا أقترح عليها تركيب مرآه فى قاع الحوض لنرى فيها صورتنا بدلا من تلميع هذا القاع . وبكت زوجتى ، وندبت حظها لأنها نكبت بزوج مريض بجنون العظمة ويستعلى على مسح المطبخ .

وإذا كنت أشك فى أننى مريض بأوهام العظمة فالذى لاشك فيه أنى مصاب بنوع ما من الجنون . فما من إنسان يخلو من ناحية جنون . أنظر مثلا إلى الدكتور يسرى . . هل رأيت من هو فى رجاحة عقله واتزانه ؟ ومع ذلك ، فإنه يفقد توازنه النفسى عند رؤية اللون الأحمر ويتعرض لتوتر حاد واكتئاب شديد ، وما أعظم موقف زوجته سهيلة ، فقد قاطعت اللون الأحمر بكل درجاته فى البيت ، والفساتين ، وحتى طلاء الشفتين الذى لا تستغنى عنه امرأة ، ضحت به عن طيب خاطر .

وجدت نفسى قد تكلمت كثيراً ، فتوقفت أسأل كامل :
ـ لماذا لا تتكلم ؟
ـ إنى أسمع .

* * *

كانت مشكلة كامل عسيرة . لقد أحب وجدان وأحبته رغم اختلاف الثقافة والاهتمامات ، فهو خريج آداب قسم انجليزى ، وهى خريجة كلية العلوم تخصص حشرات ، ولم تحبه وجدان تمشياً مع تخصصها العلمى ، بل لأنه نقلها إلى عالم وردى من أحلام لم تدخله أبداً من قبل . كان ينقل إلى أذنيها قصائد كيتس وبايرون وشيلى باعتبارها كلامه ، وكانت مفتونة برومانسيته وأسلوبه الفريد فى الحب .

حتى كانت تلك الليلة فى أعقاب شهر العسل . كانا يجلسان فى شرفة الفيلا والحديقة من حولهما تتنفس عبير ليل الربيع . واحتضنها وهو يهمس بكلمات قصيدة لشاعر يونانى قديم : يا حبيبتى إذا أخلصت لى الحب وأخلصت لك الحب ، فسوف يتبدى لنا حصان أبيض ذو جناحين يأتى عبر أشجار البستان ، ونمتطيه معاً لينطلق بنا محلقاً فى آفاق سعادة عمرها من عمر الزمان .

وأغمضت وجدان عينيها وقد ألقت برأسها فوق كتفه ، ثم همست :

- هل جاء الحصان ؟

- إنه قادم بعد قليل .

لقد أفلت الموقف من يد كامل ، فهو لم ير وجدان من قبل فى مثل هذه السعادة الطفولية الخرافية تنتظر فعلاً ظهور الحصان الأبيض ذى الجناحين . لم يكن يتوقع ذلك ، وهو يعرف كم تكره وجدان الكذب ، ولم يجد لديه الاستعداد للتراجع حتى لا يفسد عليها لحظات نادرة ، ولا وجد أيضاً الجرأة . . ولعن فى سره الشاعر اليونانى وحصانه وحماره ، ولما اشتدت برودة الجو والليل يقترب من فجر النهار ، أكد لها أن الحصان لابد أن يأتى فى الغد .

فى اليوم التالى انتظرت وجدان حلول الليل فى اشتياق ، ثم تهيأت لاستقبال الحصان بثوب ملائكى أبيض ، وبينما هى تعانق كامل ، اهتزت أوراق الشجر المحيطة بالفيلا ، وأطل حصان أبيض برأسه بين الأغصان ، وشهقت وجدان ثم صاحت كالمسحورة : الحصان الأبيض . .

وسط هذا الحلم الأسطورى المثير ، دق جرس الباب وأسرع كامل ليجد العربجى صاحب الحصان يطالب ببقية أجره عن التمثيلية ، وحاول كامل أن يكون صوته خفيضاً قدر الإمكان وهو يقول للعربجى إنه سوف يمر عليه فى الغد ، ثم دفعه بيده إلى الخارج برفقٍ وأغلق الباب ، وبينما كانت وجدان ترتمى فى أحضان كامل استعداداً لركوب الحصان ، دار العربجى حول الفيلا ثم اعتلى السور وظهر إلى جوار الحصان وصوته القبيح يشق هدوء الليلِ مهدداً متوعداً .

وانكشف الأمر ، وبكت وجدان كثيراً ، وشعرت ببعض الراحة والعزاء وهى ترى الجرح الذى أحدثه العربجى فى جبهة كامل .

لقد مضت ست سنوات على تلك الليلة ، ورغم أن كامل لم يعد فى حاجة إلى أن يقيم الدليل على حبه لها ، إلا أن الجرح الذى أحدثه العربجى بقى ندبة فى قلبها أيضاً ، وبقيت معها عقدة الحصان الأبيض تدين كامل بالكذب كلما روى خبراً أو تكلم ؟ ثم تعلم أن يلوذ بالصمت ، فإذا سئل لماذا لا تتكلم ؟ قال إنى أسمع . وظل على هذه الحال حتى اجتاح البيت ذلك الإعصار الأخير عندما عثرت وجدان فى جيب سترته على زهرة جافة عجز عن إثبات مصدرها .

★ ★ ★

استمر حديثى مع كامل حول شيوع الجنون الهامشى بين الناس ، وقلت له : إنه ينبغى عليه أن يتعاون مع زوجته المريضة بكراهية الكذب مثلما تتعاون سهيلة مع زوجها يسرى المريض بجنون اللون الأحمر .

قال كامل : إنى أسمع .

أقبل علينا الدكتور يسرى فأسرعت أخفى ولاعة كامل الحمراء . وبينما التزم كامل الصمت ، توليت شرح حادثة الزهرة الجافة التى عثرت عليها وجدان فى سترة كامل ، وفكر يسرى قليلاً ثم سأل كامل : من الذى يدريك أن وجدان لم تلفق لك هذه التهمة ، خصوصاً أنها عثرت على الزهرة فى غير حضورك ؟

قال كامل : إنى أسمع .

وعاد يسرى يسأله : ثم من الذى أعطاها حق تفتيش ملابسك .

قال كامل : إنى أسمع .

تبين لنا أن حالة « إنى أسمع » عند كامل قد تفاقمت عقب حادث العثور على الزهرة الجافة فى سترته ، وأنه يمر بأزمة نفسية مؤلمة . وعندما نقلت هذا الخبر إلى وجدان لم تأخذ الأمر مأخذ الجد ، لكنها أيقنت من خطورة الأمر عندما رفعت سماعة التليفون من غرفتها ، تسترق السمع بعد أن طلب كامل رقماً وهو فى غرفة المعيشة ، ورد عليه صوت سامى شريكه فى المكتب ، ومع أن كامل هو الطالب فقد بدأ محادثته قائلاً لسامى : إنى أسمع ، قال سامى : كامل ؟؟ لماذا لم تأت لتوقيع العقد مع الفرنسيين ؟ قال كامل : إنى أسمع . وصرخ سامى : ماذا تسمع عليك لعنة الله ؟ فرد كامل : إنى أسمع .

تحرك الحب فى قلب وجدان وأعلنت أنها غفرت له حادثة الزهرة الجافة فى سترته ، ومر كامل بسلام من أزمة إنى أسمع وبدأ يتماثل للكلام .

وعندما لانت وجدان تجاه كامل ، انتهزت الفرصة فقلت لها : إن الحب مبالغات خيالية وخيالات مبالغ فيها . كل فتاة زرعوا فى أحلامها صورة الفارس الذى سوف يأتى على جواد أبيض ليختطفها . إنها صورة رومانسية وليست حقيقية ، فلو جاء هذا الفتى الآن واختطف البنت على جواد أبيض لقيدوا الحادث ضده جناية خطف وحكموا عليه بالإعدام .

لاح لى أن وجدان قد بدأت تقتنع ، فواصلت قائلاً : لا ينبغى أبداً أن نطبق مقاييس الكذب على كلام العشاق والمحبين وإلا فقد الحب سحره . . قولى لى يا سيدتى ، ماذا يعنى الحبيب عندما يقول لحبيبته أطلبى عيونى . . نحن نبالغ دائماً يا سيدتى فى كلام الحب أو وصف الحبيب . .

إن فى تحفة توفيق الحكيم « يوميات نائب فى الأرياف » نجد الشيخ عصفور يردد أغنية فولكلورية تقول : « ورمش عين الحبيب يفرش على فدان » أى رمش هذا ؟

لاشك أننا نواجه هنا شكلاً تشريحياً نادراً لرمش العين . إنه رمش يحتاج إلى أكثر من عشرين شغالة كل صباح لغسله وتنظيفه من آثار النوم ، ثم كم صندوق صابون تواليت وكم فنطاس ماء تلزم لإتمام هذه المهمة يومياً .

بدا لى أن وجدان قد اقتنعت ، وفكرت لبرهة وهى تبتسم ، ثم ترددت قليلاً قبل أن تستحلفنى بألا أبوح بالسر ، واعترفت أن كامل برىء من حادثة الزهرة الجافة فى سترته ، وأنها هى التى اختلقت الواقعة برمتها .

ـ لماذا يا وجدان ؟

ـ لأعرف كيف يكون مظهره وهو برىء ، ولكن الذى غاظنى أنه بدا مذنباً فور اتهامه ، فأيقنت أن امرأة ما قد أعطته زهرة ذات مرة ، ولهذا ارتبك أمامى . على أية حالٍ أنا أبحث الآن ـ بشكل علمى ـ كيف أفرق بين كذبه وصدقه .

انقطعنا فترة غير قصيرة عن كامل ووجدان بسبب القضايا التى ترتبت على جنون النظافة عند زوجتى ، إذ اكتشفت زوجتى صرصوراً صغيراً فرأت أن تقاضى الشركة التى قامت برش البيت ضد الصراصير ، وصممت زوجتى أن تحتفظ بالصرصور حياً فى علبة خاصة ، وعهدت إلى بمهمة تقديم الطعام والشراب لهذا الصرصور حتى نقدمه فى جلسة المحكمة . . ومن ناحية أخرى رفعت علينا مالكة العمارة دعوى لأن إحدى الأرضيات فى البيت تآكلت من شدة التنظيف وأصبحنا نرى الجيران تحتنا بوضوح .

وعندما دعت وجدان وكامل الأصدقاء للاحتفال بعيد ميلاده كنت وزوجتى أول الحاضرين ، ولم يكن كامل قد عاد بعد من موعد عمل هام ، وقد لاحظت أن الأمور قد تطورت كثيراً ، إذ كانت وجدان تبدو سعيدة ، كأنما تخلصت من جنون كراهية الكذب .

ما الذى حدث ؟ استرقت السمع وهى تحادث السيدات .

قالت وجدان : كنت أتمنى أن أشترى جهاز « بوليجراف » لكشف الكذب الذى يستخدمونه مع المجرمين لأقيس نبض كامل وضغط دمه

وتنفسه واستجابة جلده للمؤثرات الكهربائية ، لكن الجهاز ـ للأسف ـ باهظ الثمن كما أن تشغيله يحتاج إلى فنيين ، ولهذا رأيت أن ألجأ إلى الطريقة القديمة لكشف الكذب فى الهند والدانمرك ، فكانوا يرغمون المتهم على أن يلعق قطعة من الحديد الساخن ، فإذا أحرق لسانه ثبت كذبه ، على أساس أن الخوف يسبب نقصاً شديداً فى اللعاب مما يجعل لسانه جافاً سهل الاحتراق .

اقشعر بدنى . تصورت لسان كامل المسكين وكيف أصبح ، ثم حمدت الله ووجدان تواصل حديثها : لكننى عدلت عن استعمال الحديد ، لأن تسخين الحديد يحتاج إلى وقت ، ومن غير المعقول أن أقوم بتسخين الحديد عشرين مرة خلال أحاديث كامل ، ولهذا لجأت إلى أسلوب آخر كان مطبقاً فى أوربا خلال العصور الوسطى ، وهو حشو فم كامل بكمية من الأرز الجاف ، فإذا فشل فى ابتلاعه بسبب نقص اللعاب كان كاذباً .

انهالت الأسئلة من السيدات تستفسر من وجدان عن مقدار الأرز الواجب حشوه فى الفم .

ـ نصف كوب أرز جاف .

ومضت وجدان تقول : أما فى المجتمعات الحديثة فمن العسير أن أحمل معى الأرز ، لذلك أكتفى بأن يخرج كامل لسانه لأراه جافاً أو رطباً ، قد أصبحت خبيرة فى ذلك بمجرد إلقاء نظرة .

عندما دخل كامل نهضت لأعانقه وأحييه فى شوق وأهنئه بعيد مولده ، فرد تحيتى بكلمات طيبة ثم أخرج لسانه إلى آخره ، ورد تهنئتى ثم أخرج لسانه إلى آخره ، وعندما سألته وجدان هل وفق فى غداء العمل الذى ذهب إليه ، رد قائلاً : سنوقع العقد غداً ، ثم أخرج لسانه إلى آخره .

أصبحت عادة ميكانيكية أن يتكلم كامل ثم يخرج لسانه إلى آخره . .

وساءنى أن يصبح كامل من الفصيلة الكلابية ، لسانه يتدلى خارج فمه أكثر مما يستقر داخله ، وبينما أنا سارح مع خواطرى شد انتباهى

فستان أحمر ترتديه إحدى المدعوات . كيف سيواجه الدكتور يسرى هذا الموقف ؟

استفسرت عن كيفية حل هذه المشكلة ، فقيل لى أن يسرى لن يأتى .

ـ لماذا ؟

ـ مسكينة سهيلة زوجته أصيبت بجنون اللون الأحمر .

ـ هذه السيدة العاقلة أيضاً ؟؟ كيف ؟؟

ـ ضبطت فى جيب يسرى منديلاً كله أحمر شفاه .




خصلة شعرها

اعتدت أن أستقبل يومى بالتفاؤل ، أو أوحى إلى نفسى بذلك ، كما اعتدت ـ خلال حلاقة ذقنى ـ أن أردد كلمات من أغنية شائعة ، ولأننى لا أحفظ الأغانى فإنى أشرد مع أفكارى مردداً كلمات قليلة لا تتغير ، غير أن اهتمام زوجتى الفجائى بتلك الكلمات التى ترددت على لسانى ذات صباح خلق مشكلة ، إذ بينما كنت أقول سمراء يا حلم الطفولة سمراء يا حلم الطفولة ، دقت ليلى باب الحمام تطلب أن أكف عن ترديد هذه الكلمات المعادة ، لكنى نسيت فى الصباح التالى وتغنيت بنفس الكلمات ، فاتهمتنى زوجتى بأنى أكن عواطف خاصة لجارتنا مدام دودو ، ثم راحت تتساءل : ما الذى يعجبك فيها ؟ سمرتها الخمرية كما يقول الرجل المخرف العجوز زوج جارتنا دولت ؟ عيونها الخضراء كعيون قطط الحوارى الشرسة ؟ ما الذى يعجبك فيها . . تكلم ؟

كان من العبث أن أقول لليلى إننى أسمع منها عن دودو لأول مرة وإننى لم أرها من قبل .

فى المساء كنت أجلس فى النادى أنتظر أدهم ابن خالتى الذى أرتاح كثيراً لصحبته ، فهو موهوب فى الغباوة ، ويلذ لى أن أمارس معه نزعة الإنسان إلى التسلط والسيطرة ، ثم إن الحديث معه لا يجهدنى ، ولا يضطرنى إلى التفكير ، وهو يرفه عنى كثيراً بحكاياته عن نورما صديقته ، وأسعد كثيراً بالحوار الذى يدعى أنه جرى بينه وبينها ، فهو حوار يجعل منه السيد والسلطان ، ويضعها هى فى مرتبة الجوارى ، وقد فشلت كل حيلى فى الوصول إلى حقيقة نورما ، فلما ضيقت عليه الخناق ، قال إنها رحلت إلى بلادها ، وأيقنت أن نورما شخصية وهمية

تحيا فى خياله وتتيح له الفرصة للزهو والتفاخر وتغطية القهر الذى يتعرض له من زوجته سوسن .

ظللت أنتظر أدهم فى النادى ولكنه لم يحضر ، وتبين أنه قد ترك لى الرسالة التالية :

عزيزى عزت . .

ثانياً ـ سأذهب الليلة فى مهمة صعبة سأحدثك عنها غداً .

أولاً ـ أعتذر عن تغيبى الليلة .

ملحوظة ـ ذكرت ثانياً قبل أولاً لأهمية ثانياً عن أولاً .

فى الصباح التالى حرصت على أن أتجنب ترديد أغنية سمراء ، ورحت أترنم بكلمات : ذهبى الشعر شرقى السمات ، ولأننى لا أعرف إلا هذه الكلمات الأربع ، فقد دقت ليلى الباب بعصبية وهى تصيح : عرفنا إن شعرها أصفر .

لكن الأمر كله وضح لى عندما التقيت بأدهم فى النادى وقال لى : إن ليلى قد استدعته أمس لاستجوابه ، وتلك هى المهمة الخاصة التى ترك لى بشأنها رسالة الاعتذار ، وقد أكد لها أدهم أنه لا علاقة لى بمدام دودو وكادت تقتنع ، غير أنها اتصلت به صباح اليوم وقالت له : هل عرفت أن عزت كان يردد اليوم : ذهبى الشعر ذهبى الشعر ؟ وهل تعلم أن مدام دودو ظهرت بشعر أصفر هذا الصباح ؟ مؤكد هو على صلة بها وإلا فكيف عرف هذا الصباح أنها قد صبغت أمس شعرها ؟؟ اسمع . . ابن خالتك هذا ، إما أن يطلقنى وإما سوف أقتله .

سرحت مع خواطر كئيبة . فإنى أعرف ليلى عندما تستبد بها الغيرة .

أفقت من خواطرى وأدهم يعطينى كيساً مخملياً صغيراً داكن الزرقة ، مخيطاً من كل جانب ، ورجانى أن أحتفظ به ، فهو الذكرى الباقية من نورما بعد سفرها . لم أكن عندئذ فى حالة تسمح لى بطرح أى سؤال عليه ، فقد شغلتنى تلك الأزمة الجديدة التى أثارتها ليلى .

عدت إلى البيت بخطوات متثاقلة شديدة الهم . ما هذا الذى أراه ؟ ليلى تستقبلنى بابتسامة جميلة وكلمات تقطر عذوبة وهى تتأسف عما قالته لى بشأن مدام دودو ، فهى واثقة من إخلاصى لها ، ولا تشك أن حبى

الكبير لها ـ منذ أيام الكلية ـ لم تلوثه خيانة أو حتى نزوة .

ما الذى جرى ؟ إننى أعرف جيداً ليلى وغيرتها ، وهذه ليست ليلى أبداً . كنت مبهوتاً أحملق فيها ، فمسحت شعرى بيد حانية وهى تسألنى : ماذا بك ؟

لا شىء .

أعرف أنك لاتزال غاضباً منى يا حبيبى . . لك الحق ولكن عذرى إنى أحبك .

طوقتنى بذراعيها وقبلتنى قبلة سينمائية نادرة دفعتنى إلى زيادة الشك فى قواها العقلية . ماذا جرى لزوجتى بحق السماء ؟

جذبتنى من يدى إلى غرفة المعيشة ومازلت مأخوذاً بليلى الباهرة الجديدة التى لم أرها منذ أيام الكلية . وما لبثت أن قالت : لقد أعددت لك مفاجأة تحبها جداً ولن يزاحمك فيها الأولاد ، فقد ناموا . . طبعاً عرفت ما هى المفاجأة : أرز باللبن .

أرز باللبن ؟؟ الطبق مسموم . مؤكد مسموم . الآن وضحت أسباب الغرام المفاجىء . هل يمكن أن يصل هوس الغيرة عند هذه المجنونة إلى هذا المدى المدمر ؟

راودنى إحساس بأن أفر جارياً فجأة خارج البيت . المهم أن أباغتها بالهرب ، فربما إذا رفضت أكل الأرز دقت رأسى بآلة حادة أو عاجلتنى بضربة سكين أخفتها تحت طيات ثيابها .

وجدتنى أقول لها : هل يمكن أن تفعلى بى هذا ؟؟ قالت وهى تصوب الملعقة نحو فمى لتطعمنى الأرز باللبن : ألم أعتذر لك يا حبيبى ؟

رددت يدها الممدودة بالأرز المسموم وتأهبت للجرى ، فوقفت تنظر لى بدهشة وبخيبة أمل وقد حولت ملعقة الأرز إلى فمها ، ثم وضعت الطبق والملعقة فوق المنضدة وما لبثت أن أجهشت بالبكاء . ضممتها إلى صدرى ومسحت دموعها وأنا أشعر بأسى عميق لسوء ظنى بها . كيف تصورت أن ليلى يمكن أن تقتلنى بالسم ؟ احتوتنا لحظة صمت طويلة .

فى الصباح أيقظتنى ليلى برفق وحنان وكأنى طفلها المدلل . ما أروع هذه الرومانسية بعد ليلة الزفاف بتسع سنوات ! وحتى لا أسيء إلى هذه المدنة الرومانسية التى يصعب تفسيرها ، تنبهت جيداً فى الحمام وأنا أحلق ذقنى حتى لا أردد كلمات قد يساء تفسيرها ، ولهذا سلكت طريق السلامة ورحت أنشد : بلادى بلادى فداك دمى . . بلادى بلادى فداك دمى .

نقلت حاجاتى من البدلة التى كنت أرتديها ، اصطدمت يدى بالكيس المخملى . لعنة الله عليك يا أدهم . . هذا الكيس يجب أن يعود إليه ، فما أغنانى عن أن أكون موضع الشبهات لو عثرت عليه ليلى .

ذهبت إلى المكتب دون أن تغادر صدرى تلك البهجة الحقيقية التى أشعر بها منذ أن استيقظت على قبلات ليلى . إنها بهجة . أحس أنها وليدة أعماقى وليست محاولة من جانبى أوحى بها إلى نفسى . . كل شيء مشرق وجميل بداخلى . خاطر واحد يمر برأسى من حين لآخر ويزعجنى : لماذا كل هذه الرومانسية من ليلى ؟؟

لم تتركنى البهجة حتى والسكرتيرة تقول لى أن بدران أبو السعود يطلب مقابلتى ، ما الذى جاء بهذا الرجل الذى أطالبه أمام القضاء بتعويضات عن أضرار ألحقها بى فى معاملاته ، ورغم أننى استقبلت خبر حضوره بهدوء ، فقد رجتنى السكرتيرة ألا أنفعل لمقدمه ، فلسانه مصاب بدمل كبير يملأ فمه ويمنعه من الكلام ، وكان هذا فى حد ذاته خبراً ساراً ، فهو سليط اللسان ومستفز فى مناقشاته ، وكان غريباً ومدهشاً أن أعرف أنه جاء وهو على استعداد لدفع ما أطلبه نقداً ، فقد قرر أن يتوب إلى الله ويتصوف ، ودفع لى بالفعل كل مستحقاتى .

فى الساعة الواحدة دق التلكس بالموافقة على عرض تقدمت به وكنت أنتظر هذه الموافقة من شهور . . ففى المشروع كسب طيب . وفى الثانية والنصف أبلغنى المحاسب حكم المحكمة فى قضية ضرائب بتخفيض الضريبة من خمسين ألفاً إلى عشرين ألفاً فقط . فى الساعة الثالثة تأهبت للعودة إلى البيت ، غير أنى عدت أدراجى لأتصل تليفونياً

بأدهم حتى يلتقى بى فى النادى فأعيد إليه هذا الكيس المخملى الذى قد يسبب لى مصيبة ، لكن خاطراً اقتحم رأسى فجأة جعلنى أعيد الساعة إلى مكانها ، ألا يمكن أن يكون هذا الكيس المخملى ومحتوياته المجهولة هو سبب كل هذا التوفيق فى البيت والعمل ؟؟

لقد بدأ تأثير الكيس أكثر وضوحاً فى الأيام التالية : ليلى تزداد حباً لى والتوفيق فى العمل رائع ، وفى نهاية الأسبوع ذهبت للمرة الرابعة إلى راشد بك زوج عمتى أحاول إقناعه بألا يتزوج من الممرضة الشابة التى وقع فى غرامها وهو فى الخامسة والثمانين ، مؤكداً أنه لا يهدف من الزواج المنتظر إلا إنجاب الولد ، وما أن جلست إليه والكيس المخملى فى جيبى حتى راح يستمع لى ـ ولأول مرة ـ بلا مقاطعة عصبية ، وكان مطرق الرأس يستوعب كلماتى فى إمعان ، ثم تبين أنه مات بالسكتة .

وجاء أدهم الغبى يهنئنى لأن ثروة راشد بك قد انحصرت فى عمتى وارثته الوحيدة ، وتمنى أدهم أن تدخل عمتى الفرحة على قلبى فى يوم قريب لأننى وريثها الأوحد .

وخطر لى أن أسأل أدهم عن مدى إيمانه بالحظ ، وكنت أهدف إلى أن أعرف إن كان حظه قد ساء بعد أن أعطانى هذا الكيس المخملى ، فقال أدهم : لقد كان أبى سعيداً بالحظ ، وهو عندما احتاج إلى مبلغ كبير لإجراء عملية جراحية تعمد أن يشترى ورقة يانصيب وكسب فعلا الجائزة التى غطت نفقات العملية الجراحية ، كما غطت أيضاً مصاريف الجنازة .

ولم يشر أدهم من قريب أو بعيد إلى الكيس المخملى وأنا أدور بأسئلتى حول تفاؤله وتشاؤمه ، وكل ما قاله إنه يصاب بصداع نصفى عندما يدخل كوكب المشترى برج العقرب ، فلما سألته متى يدخل المشترى برج العقرب قال : عندما أصاب بصداع نصفى .

فى النادى التقيت بصديق الصبا والشباب دكتور بدير علم الدين ، كان متوتراً وقلقاً ، فهو مرشح لمنصب كبير فى الأمم المتحدة ينافسه عليه عالم بريطانى وآخر إيطالى ، وإن كان بدير يتفوق عليهما بدرجاته العلمية وأبحاثه المستفيضة فى خرافات ومعتقدات المجتمعات البدائية

والوسائل إلى تحديث هذه المجتمعات . ورويت لبدير عن مفعول الكيس المخملى العجيب . فألح فى طلب هذا الكيس والاحتفاظ به حتى يتم ترشيحه بعد يومين ، وأعطيته له .

عدت إلى البيت لأجد ليلى فى حالة جنون ، استقبلتنى وهى تصرخ : لا تحاول الإنكار ، لقد كنت أطل الآن من الشرفة ورأيت كل شىء . . سيارتك تدخل الشارع مع سيارة دودو فى وقت واحد . . انكشفت الغشاوة عن عينى يا عزت ورأيتك على حقيقتك أيها الخائن . . لا جدوى منك حتى لو أوقدت أصابعى العشرة شموعاً لك .

شىء طبيعى أن يحدث هذا كله ، فالكيس المخملى ليس معى ، ومناقشة ليلى لن تثمر ، والحل العملى هو استعادة الكيس فوراً من بدير ، وفى منزل بدير استقبلتنى زوجته كاميليا وسعادة غير عادية تفيض من وجهها : بارك لنا يا عزت . . بارك لنا . مبروك يا كاميليا . . هل حصل بدير على منصب الأمم المتحدة ؟ قالت : بدير استدعوه ليكون وزيراً فى الوزارة الجديدة . . كل شىء حدث فجأة الليلة بعد دخوله من الباب عائداً من النادى .

انشغل بدير فى مراسم تشكيل الوزارة وحلف اليمين ، ومر يوم من أشد أيام حياتى قسوة فى البيت والعمل ، وعندما توجهت فى المساء إلى بيت بدير وجدته محاطاً بالحرس ، ومليئاً بوفود المهنئين والأصدقاء الذين ظهروا فجأة ، وانتحى بى بدير جانباً يرجونى ألا أذكر لمخلوق قصة هذا الكيس المخملى العجيب الذى حمله إلى كرسى الوزارة ، ثم رجانى أن أترك له الكيس أو أبيعه له بأى ثمن حتى لا يخرج من الوزارة أبداً ، وادعيت أن عندى غداً لقاء بشأن صفقة هامة يتوقف عليها مستقبلى المالى ، وأننى سوف أرد إليه الكيس مساء الغد ، ودسست الكيس فى جيبى عائداً إلى البيت ، وما إن فتحت الباب حتى رأيت ليلى جالسة تبكى وترجو أن أغفر لها سخافاتها فى اليومين الماضيين ، وبصوت دامع راحت تعبر عن ندمها لأنها ترمينى دائماً بتهم ظالمة .

وبدأت القبلات السينمائية .

عندما جلست إلى المكتب فى ذلك الصباح ، كان واضحاً أن اليوم قد بدأ بداية غير طبيعية . فكل شيء يواجه تعقيداً والمشاكل تبدو صعبة الحل . ماذا جرى للكيس المخملى السحرى ؟ تحسست جيبى . آ . . نسيته فى جيب الروب دى شامبر أو فى مكان ما ولم أنقله إلى البدلة التى ارتديتها . كيف فاتنى هذا ؟؟

عدت إلى البيت بسرعة بحجة أننى نسيت أوراقاً هامة . وهناك كانت المشكلة الكبرى فى انتظارى ، فقد عثرت ليلى على الكيس فوق مكتبى وفتحته ووجدت بداخله خصلة شعر أصفر مربوطة بخيط حريرى أحمر ، أصرت على أنه شعر دودو .

أقسمت لليلى أننى لم أكن أعرف ما بداخل هذا الكيس الذى يخص آدم ابن خالتى ، ولابد أن هذا شعر صديقته نورما ، وجاءت سوسن تسوق أدهم من قفاه ، وأقسم أدهم هو الآخر أنه لا يعرف ولم يعرف امرأة اسمها نورما أو غير نورما ، وأشعل النار انتقاماً مؤكداً أن هذا شعر مدام دودو ، فتركت ليلى البيت لاجئة إلى أسرتها .

أقسمت لليلى أننى لم أكن أعرف ما بداخل هذا الكيس الذى جاءنى من أدهم ، ثم كيف اكتشفت أنه تميمة تجلب الحظ السعيد ، وكيف أصبح الدكتور بدير وزيراً بعد ساعة واحدة من احتفاظه بهذه التميمة ، وقال والد زوجتى : ما رأيك أن أصحب ليلى إلى الدكتور بدير فلعل فى شهادته براءتك .

قال الدكتور بدير : هل تعرفين يا ليلى أن إحدى رسالتى الدكتوراه التى تقدمت بها إلى السوربون هى عن خرافات السحر فى المجتمعات البدائية وأثرها فى التقدم والتنمية الاجتماعية ؟ فكيف تصدقين هذا الهراء السخيف من عزت . . لن أغفر له هذه الإهانة التى يلصقها بى .

حفيت أقدامى تردداً على ليلى فى بيت أسرتها ، فمن حسن الحظ أنها تحتفظ بخصلة الشعر داخل الكيس حتى يتيسر لها الحصول على خصلة من شعر دودو لإثبات خيانتى على وجه التأكيد ، وقد نجحت بعد صبر طويل فى إقناع والدها بأن تجرب ليلى خصلة الشعر الذهبية فى جلب

الحظ السعيد .

قال لى والدها فى التليفون : لقد أقنعت ليلى فحملت التميمة فى حقيبتها وتوجهت إلى الكوافير لتعود إليك فى أتم زينتها .

شكراً يا عمى لهذا الخبر السعيد .

فاستأنف يقول : وبفضل هذه التميمة احترق شعرها تماماً عند الكوافير ، وأصبحت صلعاء .

وأغلق التليفون فى وجهى .




لعبة زوجك

عندما كانت سهيلة تتكلم ، يصبح الإنصات من شيم زوجاتنا العزيزات ، فقد كانت سهيلة شخصية مؤثرة ، أظهرت موهبة مدهشة فى حل الخلافات التى تنشب عادة بين كل زوجين ،إذ تميزت فوق ثقافتها الرفيعة بالدبلوماسية الهادئة ، والمنطق القوى ، والقدرة على الإقناع ، وكنا شديدى الإعجاب بالحياة الانسيابية السعيدة بينها وبين زوجها الدكتور بركات .

ولقد كانت سهيلة تميل كثيراً إلى إنصافنا نحن الأزواج ، وتلتمس الأعذار لعيوبنا ، وعندما نجحت فى حل المشكلة المزمنة بين عبدالمجيد ونوال ، كان نجاحها نقطة تحول فى حياتنا جميعاً ، نحن مجموعة الأصدقاء الذين تجمعهم أمسيات نهاية الأسبوع .

إن عبدالمجيد كان يؤمن بأن لعب الأطفال تقوم بدور هام فى تنمية مدارك الطفل والإضافة إلى قدراته الذهنية ، وما إن وضعت نوال طفلها وائل حتى أسرع يشترى أول لعبة للولد ، وهى دبابة ضخمة تدور مدافعها فى كل اتجاه ، والضوء الأحمر يخرج منها مع أصوات القصف ، وأصبح عبدالمجيد يفترش الأرض بجوار مهد الطفل ويلعب بالدبابة ، زاعماً أنه ينبغى تنبيه حاسة السمع عند الولد .

ثم بناء على توسلات نوال ، انتقل عبدالمجيد ليلعب بهذه الدبابة فى غرفة أخرى ، فإذا دخلت عليه زوجته احتضن اللعبة وراح يتضرع إلى الله أن يكبر وائل ويراه يلعب بالدبابة ، واستمر بعد ذلك يتردد على مهد الطفل ، فيحمله ويناغيه ويقول له فى كل مرة : دبابتك فى انتظارك يا حبيبى ، ثم يجلس القرفصاء والولد فى حضنه ويظل يلعب

باللعبة طالباً إلى الطفل الذى لا يعى أن ينظر إلى الدبابة الظريفة وكيف تمشى ، ثم بعد ذلك أصيب مدفع الدبابة بعطب فاستولى عليه هم عظيم ، وأصبح لا حديث له مع نوال إلا عن هذا المدفع المعطوب الذى لم يعد يتجه ناحية اليمين ، ولم تفصح نوال عن تذمرها من حديثه التافه ، وكتمت شكواها .

ثم كبر وائل ، وبدأ عبدالمجيد ينفق مبالغ كبيرة فى شراء اللعب لولده ، لكن الطفل كان يعود لأمه باكياً لأن أباه يمنعه من الإمساك بأية لعبة حتى يلعب بها وحده .

وانفجرت الأزمة بين نوال وعبدالمجيد لنعرف بها جميعاً لأول مرة ، وللمرة الأولى أيضاً عرفنا لماذا كان عبدالمجيد يسألنا عن لعب الأولاد المكسورة فيتولى إصلاحها وتشغيلها معهم .

وترافعت سهيلة عن عبدالمجيد . قالت : إنه يجد سعادة فى الهرب إلى طفولته ، وهى سعادة لا يجد مثلها فى حاضره ، ربما لأن نوال انصرف اهتمامها به إلى وائل ، ثم ما هو وجه الانحراف فى هذا اللهو البرىء ؟

ومن هنا أطلقت سهيلة صيحتها لكل الزوجات : اتركى زوجك يمارس هوايته البريئة فى البيت ، فأنت بذلك لا تسعدينه فقط ، وإنما ترفعين أيضاً عن نفسك عبء ملاطفة شخص عنيد وجامح لإغرائه بالبقاء إلى جوارك فى البيت .

مالت سهيلة على أذن نوال : أليس ما يمارسه زوجك من هواية بريئة خيراً ألف مرة مما يفعله شريف الذى يُسهر كل ليلة فى الخارج حتى أصبح الشك يستبد بزوجته نعمت ؟

لكن نعمت وعت الدرس ، وقررت أن تسترد زوجها إلى جوارها فى البيت ، غير أن شريف طاف بكل الأصدقاء ليدلل على خبل زوجته التى أهدت إليه سيارة مطافىء « لعبة » يلعب بها فى البيت ، وقد بكت نعمت لأن شريف المجنون ألقى بسيارة المطافىء وحطمها ولم يلعب بها مثل عبدالمجيد .

وعادت سهيلة تردد : اكتشفى هواية زوجك . شاركيه اهتماماته .

اجعلى من بيتك مكاناً جذاباً بالنسبة إليه وهيئى له فيه الجو المناسب لممارسة ما يهواه .

وأثمرت صيحة سهيلة . .

عاد شكرى إلى هوايته الأثيرة « الشطرنج » وحاولت خيرية أن تتعلم منه تلك اللعبة التى تنسيه الدنيا .

وتراجعت هدى ورحبت بأن يخرج سليمان اسطواناته من جديد ليستمع إلى موسيقى فاجنر بالذات وأعماله الأوبرالية . وكانت موسيقى فاجنر تدفع هدى إلى « الصويت » والاستغاثة من تلك الضوضاء الرهيبة التى يتداخل فيها خبط الحلل - كما تسميها - مع نونوة القطط ، وأصبح سليمان يجلس مستمتعاً بأوبرا « تان هويزر » لفاجنر حتى ولو شكا الجيران لشرطة النجدة من صوت التينور المتوحش الذى يقوم بدور هنريش هويزر .

ولأول مرة تركتنى زوجتى كوثر أمارس هوايتى بمتعة كاملة دون تدخل منها . فقد كنت أعود من عملى الإضافى بعد الظهر كباحث كيميائى ، ثم انتحى ركناً هادئاً فى البيت وفى يدى قلم وورق ، وتقبل كوثر لتسألنى نفس السؤال كل يوم ؛ ماذا تكتب يا رضا ؟

- أتسلى يا كوثر . .

وتنظر زوجتى فى الأوراق فلا تجد إلا أرقاماً وعمليات حسابية ، واعتقدت فى البداية أنى أحاول أن أوازن دخلى المحدود للوفاء بطلبات البيت والأولاد ، فتحاول أن تخرجنى من همومى وتصحبنى إلى مشاهدة التليفزيون . وكنت أربت على ظهر كوثر وأعدها بما تتمناه وتريد من ملابس وجواهر ، فقد كانت تبكى عندما تنفرد بنفسها لأنها أكثر صديقاتها تواضعاً فى الملبس والمظهر عموماً .

وعندما أطلقت سهيلة دعوتها : أتركى زوجك يمارس هوايته قلت لكوثر : إننى كنت فى دراستى مولعاً بحل مسائل الحساب ، وأننى عندما أريد الهرب من مشاكلى الاقتصادية فإننى أهرب إلى حل المسائل الحسابية حيث أجد المتعة والسلوى . وذلك هو معنى قولى : « إننى أتسلى » كلما سألتنى ماذا تكتب يا رضا .

سمعت زوجتى تقول لسهيلة : الحمد لله ، هواية زوجى بسيطة . انظرى كيف تعانى نوال المسكينة من هواية عبدالمجيد الذى بنى غرفة فوق سطح الفيلا لتركيب لعبة شبكة قطارات السكك الحديدية . . والجيران خاصموا هدى بسبب أوبرات فاجنر التى وصلت إلى محاضر الشرطة ، وهدى نفسها أصيبت بالصداع النصفى . . وشكرى يترك خيرية بالساعات محدقاً فى رقعة الشطرنج ، ثم ينهض متوجهاً إلى مركز التلكس الدولى ليبرق بتحريك قطعة الشطرنج إلى منافسه فى بلجيكا بعد دخوله المباريات الدولية . . أما رضا ـ حماه الله ـ فلا تكلفنا هوايته إلا بعض الأوراق . . بل إنه رفض أن أهديه آلة حاسبة اعتزازاً بتفوقه العقلى فى الحساب .

آه لو عرفت كوثر الحقيقة !

لقد نميت القروش القليلة التى تركها لى والدى بفضل حرصى وتدبيرى والإنفاق على اللازم والضرورى ، ولو كنت أطيع جنون النسوان فى مطالبهن الفارغة لما وجد أولادى فى مستقبل حياتهم فلساً واحداً . وما ألذها من هواية أن أخلو إلى نفسى وأحسب حساب الأرباح والفوائد ، فبعد شهرين يصل رصيدى إلى أربعمائة ألف جنيه ، وما أعظمها متعة أن أكتب هذا الرقم وأنهمك فى حساب أرباحه المستقبلة دون أن تفسد كوثر متعتى ظناً منها أننى أمارس هواية حل المسائل الحسابية . فشكراً لسهيلة .

لكن سهيلة أمامها مشكلة جديدة . .

ففى أمسية نهاية الأسبوع التقينا بعبدالمجيد ، كان شارد الفكر ، فقد حدث خلل فى الشبكة واصطدم قطاران ، ولم يكن له حديث طوال السهرة إلا عن هذه المأساة ، وكيف كان النور الأخضر مضيئاً أمام قطار البضاعة ، وفى نفس الوقت كان النور الأخضر مضيئاً أمام قطار الركاب مما سبب الحادث . ثم تساءل عبدالمجيد فى حيرة : كيف يحدث هذا ؟

قلت له والآخرون يكتمون الضحكات : أنا أشرح لك كيف .

قال عبدالمجيد فى اهتمام : هل لديك خبرة بالقطارات ؟ فبادر

شكرى يقول : طبعاً ، رضا من أحسن ركاب القطارات .
وضحكنا . وساءنى حقاً أن يشعر عبدالمجيد أننا نسخر منه ، فقد لاذ بالصمت ثم انسحب فى هدوء .
وأصبحت مشكلة النور الأخضر الذى أضاء مع النور الأخضر الآخر هى المشكلة رقم واحد فى حياة عبدالمجيد ، ولاشك أن نوال احتملت كل هذا الهراء عن قطاراته أياماً طويلة حتى نفد صبرها ، وثارت ، وفى غمرة ثورتها عيرت عبدالمجيد بأنه طفل . وهنا انفجر عبدالمجيد يزهو بأنه أعظم أصدقائه رجولة ، فهو ليس مثل رضا ـ أنا ـ الذى يقتر على زوجته وأولاده بينما رصيده يتضخم فى البنوك ، وهو ليس مثل شكرى الذى يقول لخيرية إنه ذاهب إلى مركزءالتلكس الدولى لينتظر برقية من منافسه فى المسابقة بينما هو يذهب إلى صديقته مضيفة الطيران النرويجية .
حقاً . . إن عبدالمجيد طفل . عيل .
فلقد تركت خيرية البيت لشكرى .
وكوثر تطالبنى بأن أكتب لها نصف ثروتى وإلا فالطلاق ، وترمينى تلك المجنونة بالبخل وهى تشكو لسهيلة أننى أشترى اللحم للأولاد مرة كل شهرين . .
ولقد تجاهلت تلك المطالب الجنونية التى تريدها كوثر ، لكننى تنازلت بعد تفكير عن موقفى وسوف أعرض على سهيلة الليلة هذا التنازل وهو أن أشترى اللحم للأولاد مرة كل شهر .




واحد من الملائكة

شكت لى مديحة أن طفلنا الصغير كريم ناقم على مقدم شقيقته الوليدة إلى الدنيا ، إذ بدأ يشعر أنها تسرق منه الاهتمام ، فازداد نشاطه العدوانى وهو يحاول إعادة نفسه إلى دائرة الضوء وإثبات الذات واجتذاب الأنظار إليه .

ولم أكن متفقاً مع مديحة فى وجهة نظرها عن « كوكى » ، فإنى أعرف كيف تبالغ فى حكاياتها خصوصاً عندما تروى لأمها عنى فى ساعات الغضب ، فقد قالت مرة مثلاً وهى تبكى : ان شخيرى الرهيب أثناء النوم حرك كوب الماء الفارغ من حافة الكومودينو بجوارى فهوى الكوب إلى الأرض ، وأيدت روايتها بتسجيل أشك فى أنه لمخلوق آدمى ، إذ ما إن أدارت التسجيل حتى اهتز زجاج النوافذ بشدة .

ثم إن مديحة تريد أن تعامل كوكى كإنسان عاقل رشيد وليس طفلاً لم يكمل بعد الخامسة من عمره ، فهى تستنكر شقاوته الطفولية ، وتعتبر رواياته عن مغامراته فى مصارعة الأسود والنمور مؤشرات مؤسفة تدل على أنه ورث الكذب عن أبيه .

ولأننى أشعر بضعف غريب حيال طفلى ، فقد أصبح كوكى شديد التعلق بى ، حتى انه ظل حزيناً وغاضباً عندما داهمتنى الأنفلونزا ، إذ اعتقد أننى ألزم الفراش لأننى أنا الآخر أنجبت مولوداً أخفيه بجوارى تحت الأغطية .

قلت لكوكى إن الرجل لا يلد ، فسألنى الولد : وهل أنت رجل ؟ قلت له إن كل أب رجل وكل أم امرأة ، فعاد يسأل : ولماذا لا يلد

الرجل ؟ أنت ترى فمى مشغولاً بأكل برتقالة ولا أستطيع الرد . قال الولد : بدلاً من أن ترد بأن فمك مشغول أجبنى لماذا لا يلد الرجل ؟ قلت متهرباً : قلت لك إن فمى مشغول ، وعلى العموم سوف أجيب عن سؤالك هذا عندما تصبح كبيراً ، فأبدى الولد دهشته وهو يقول : وهل ستظل تأكل هذه البرتقالة إلى أن أصبح كبيراً ؟؟

غيرت موضوع الحديث ووعدت كريم بأن نقوم برحلة معاً فى نهاية الأسبوع لزيارة جدته إن هو أثبت أنه طفل مطيع . سمعتنى مديحة وهى تدخل الغرفة فقالت تكمل عبارتى : ويثبت أيضاً أنه يعتمد على نفسه فى أكله ولبسه .

فقد فشل كوكى فى تقطيع شريحة اللحم إلى قطع صغيرة كما تأمره أمه فى كل مرة نجلس فيها إلى المائدة . وهمس الولد فى أذنى بعد أن خرجت أمه من الغرفة : لماذا لا تشترى ماما لحماً حقيقياً كالذى آكله مع طارق عند خالتى ؟؟ فلما أكدت لكوكى أن اللحم حقيقى ذكرنى بقطعة اللحم التى أفلتت من تحت السكين طائرة من طبقى وأنا أحاول تقطيعها ، ثم اختطفتها القطة تحت المائدة ، ولم أشأ أن أذكر الولد بأن القطة ـ منذ ذلك اليوم ـ اختفت من البيت ولم تعد .

فجأة دخلت مديحة الغرفة ولم تعجبها بلاهتى وأنا أرتدى القميص بالمقلوب . ظهر القميص فوق صدرى بينما امتدت يداى إلى الخلف محاولاً ربط أزرار القميص ، فقد استجبت إلى الولد عندما أحضر قميصى وطلب أن أرتديه بهذه الصورة ظناً منى أننى أرضيه بهذه اللعبة ، لكن ما أن رأى أمه تدخل الغرفة حتى صاح مشيراً نحوى انظرى إلى دادى . . إنه لا يعرف كيف يربط أزرار القميص . . فكيف تريدين منى أن أعتمد على نفسى فى ارتداء مريلة المدرسة وكل أزرارها فى الخلف .

لقد انتهى هذا الموقف بمحاكمة عسيرة لى عندما انفردت بى مديحة ، فلو أننى كنت قد أحسنت ربط أزرار القميص وأنا أرتديه بالمقلوب لما وجد هذا الولد الفرصة لكى ينتصر عليها ، وأصرت مديحة فى نهاية المحاكمة على أن أتدرب على لبس القميص بالمقلوب وربط أزراره حتى

أصبح قدوة للولد وأفسد حجته بشأن الاعتماد على نفسه فى ربط أزرار مريلة المدرسة .

★ ★ ★

قال لى كوكى ونحن فى الطريق إلى جدته : هل أقول لك شيئاً ولا تخبر ماما ؟؟ فوعدته بأن أكتم السر ، وهنا وقف على كرسى السيارة ووضع فمه على أذنى يهمس بالسر : لقد رأيتك بالأمس وأنت تلبس القميص بالمقلوب وماما غاضبة لأنك لم تعرف كيف تربط أزراره .

وصفق كوكى بيديه فرحاً وهو يضحك بينما أنا فى ارتباك حقيقى ، ولم أجد ما أقوله إلا أن مد اليدين إلى الخلف لربط الأزرار يقوى عضلات الذراعين ، وأضفت قائلا : دعنى أرى عضلاتك : فأسرع كوكى يكشف عن ذراعه فى سعادة بالغة وهو يشيد بقوته الخارقة ، ثم بدأ فى سرد قصصه الخيالية التى تثير ثائرة والدته ، غير أنى تركته ينساق وراء خيالاته حتى ينسى القميص الذى رآنى أتدرب على لبسه بالمقلوب ، وأفقت من شرودى لأسمع كوكى يروى كيف قهر الأسد « تابو » وجره من ذيله ثم خلع أسنانه .

قلت له : ولكن تابو هو كلب صديقيك أيمن وسامح ابنى الجيران ، وهو كلب لطيف وادع ، وتذكر يا كوكى أننا رأينا معاً الأسد فى حديقة الحيوان ، وهو يختلف تماماً عن شكل الكلب تابو .

سكت كوكى برهة ثم سألنى : هل رأيت الأسد وهو يمشى فى الشارع ؟ قلت : كلا يا كوكى . . أنا لم أر الأسد إلا داخل قفصه .

قال كوكى : الأسد عندما يخرج من قفصه وتقابله فى الشارع يصبح شكل تابو تماماً . . وأنا قابلت الأسد فى الشارع .

وجدتنى أضحك لأن الولد أوقعنى فى مصيدة يتحتم معها أن أستسلم لروايته دون تكذيب ، ثم قلت له : إننى لا أحب الاعتداء على الحيوان ، وعندما أصحبك إلى السيرك كما وعدتك فسوف تجد أن كل الحيوانات لطيفة وظريفة وممكن أن تكون صديقة للإنسان حتى الأسد والنمر ، وأنا أعرف أنك قوى ولك عضلات عظيمة يا كوكى ، لكنى أرجو أن تستخدم هذه العضلات فى مساعدة الضعفاء .

قال الولد مقاطعاً : أنا مستعد لمساعدتك يا دادى .
خطر لى على الفور أن الولد يرانى ضعيفاً ويتطوع لمساعدتى ضد أمه ، لكنه أضاف وهو يمسك بعضلات ذراعه : أنا أضرب من يضربك يا دادى . .
لماذا يرانى الولد ضعيفاً ؟ لا أدرى .
شرحت له أن الاعتداء على الناس ليس بطولة ، لكن البطولة هى أن ينقذ إنساناً من الغرق أو الحريق مثلا ، ولذلك فليس من البطولة أن يعتدى كل يوم بالضرب على أيمن توأم سامح بسبب الكلب تابو . .
قال كوكى : إنه يحب أيمن وسامح معاً ، غير أنه لابد أن يضرب أيمن لكى يحدث علامة فى وجهه حتى يمكنه التفرقة بين التوأم .
أبديت دهشتى فى استنكار لهذا التعليل الغريب ، فاستدرك كوكى يقول : إنه لا يضرب أيمن دائماً وإنما يفضل فى أحيان كثيرة أن يعض أذنه حتى تترك أسنانه علامة واضحة تميزه عن سامح .
وطالت مناقشتى معه بشأن أيمن وسامح ، فأوضح كوكى ما معناه أنه قد استنفد الأساليب السليمة فى التفرقة بين التوأم ، وأنه فى البداية كان يسأل كلا منهما أن يعلن عن اسمه ، فكانا يجدان متعة فى تضليله ، لكن أيمن ألقى بالوردة ، وانتهت المناقشة مع كوكى بسؤال من جانبه : دادى . . كيف يمكنك أن تفرق بين أيمن وسامح دون أن تعض أذن أيمن ؟
سرحت أسائل نفسى : كيف يمكن حقاً لكوكى أن تتوافر له وسائل التمييز بين توأم لهما نفس الملامح والشعر والتسريحة والملابس دون أن تكون لأحدهما علامة مميزة ؟؟ هل أتلمس بعض العذر للولد الذى لاقى عقوبات بدنية متعاقبة من أمه بسبب عدوانه على أيمن ؟ إن كوكى يمتلك منطقاً ـ كمعظم الأطفال ـ نرفضه بجهل ، ربما لأننا لا نمتلك حياله منطقاً فى وجاهته ، إننا لا نقدم لهؤلاء الأطفال المنطق البديل والمقنع اكتفاء منا بفرض الأوامر والنواهى .
أفقت من خواطرى على صوت كوكى يقول : دادى . . هل أنت غاضب منى لأننى أضرب أيمن ؟

قلت له : أنا لا أحب أن أرى إنساناً يضرب إنساناً لأى سبب . ولهذا يعتبر القانون الضرب جريمة عقوبتها الحبس .

قال كوكى : الضرب جريمة ؟

قلت : طبعاً .

قال : ولماذا تضربنى أمى ؟؟

تجاهلت سؤاله الصعب المفاجىء وقلت له : إننى لا أحب أن يعتدى على من هو أصغر منه ، فليس من الشجاعة أن يضرب أيمن ، لكن كوكى استنكر هذا الاتهام وقال : إنه يضرب طارق ابن خالته وهو أكبر منه .

وقلت لكوكى فى نبرة هادئة : إننى لا يعجبنى افتخاره بضرب الآخرين صغاراً أو كباراً ، فأكد كوكى : أنه لا يضرب طارق إلا عندما يجتمعان معاً عند جدته لأمه ، فالجدة توزع عليهما الحلوى بالتساوى ، لكن هذا يغضب كوكى الذى يرى أن يكون نصيبه أكبر ، وقال تفسيراً لذلك ما معناه . إن طارق ولد قبله بسنتين وأخذ من جدته كثيراً من الحلوى قبل مولد كوكى ، غير أن الجدة لا تعدل بينهما ولا تعطيه ما فاته من حلوى قبل مولده ، ولهذا فهو يأخذ نصيبه الضائع من طارق بالقوة .

لم أجد ما أقوله للولد سوى أننى سوف أعوضه عما فاته من حلوى جدته قبل مولده بشرط أن يتخلى عن فكرة ضرب طارق لأنها فكرة الشيطان والشيطان شرير ، فوقف كوكى فوق مقعد السيارة يؤكد فى حماس : أن ضرب طارق فكرته هو وليست فكرة الشيطان .

وما لبث أن تثاءب ونام قابعاً إلى جوارى كالملاك .

★ ★ ★

فى بيت أمى على الشاطىء . . جاء شقيقى الأصغر لزيارتنا وأقبل نحو كوكى يسأله مداعباً : من أنا يا كوكى وما اسمى ؟ فرد عليه كوكى قائلا فى دهشة : رجل كبير مثلك ولا يعرف اسمه ؟؟ وأغرق الولد فى الضحك ساخراً من عمه . ورغم هذه التصرفات وغيرها ، فقد أسعدنى كثيراً أن كوكى أثمرت فيه نصائحى الهادئة ، وبدأت

قصصه الخيالية تتحول من مغامرات المواجهة مع الأسد تابو إلى قصص عن إغاثته للضعفاء ، غير أن القصة التى أقلقتنى هى تلك التى حكاها - وهو يمسك بمايوه نسائى - عن بطولته فى إنقاذ صاحبة هذا المايو من الغرق !

- ومن أين جئت بهذا المايوه .

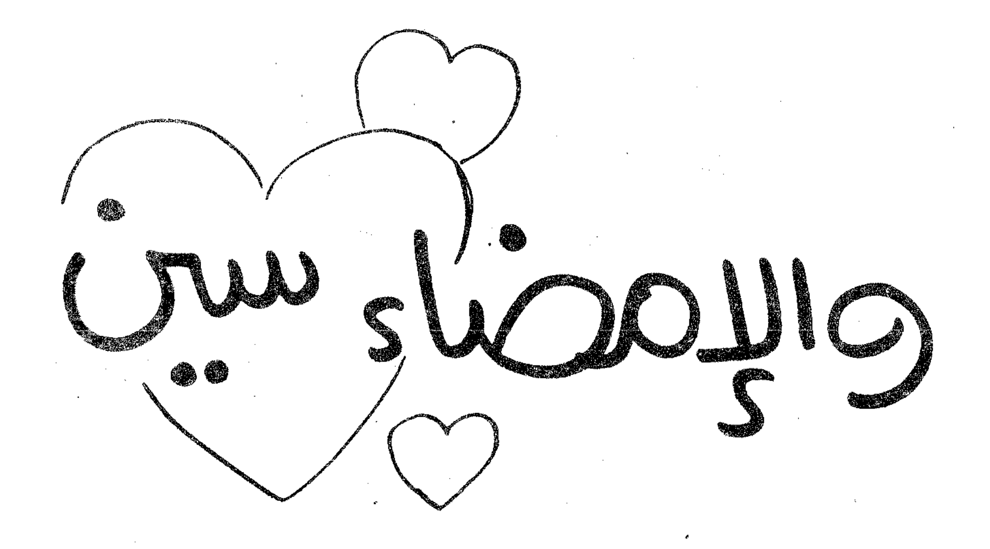
- أخذنى كوكى من يدى ومضى بى على طول الشاطىء الهادىء ، ثم أشار إلى موضع عثوره على المايوه ، وأيقنت أنه لإحدى السائحات اللاتى كن يملأن الشاطىء فى الصباح ، ربما طار منها أثناء تجفيفه .

★ ★ ★

عندما عدت من عملى بعد تلك الإجازة القصيرة كان كوكى يمسك بالمايوه ويشرح لأمه كيف كانت صاحبة المايوه تسبح مع دادى الذى كان يعلمها العوم ، وكيف أن دادى فشل فى إنقاذها عندما بدأت تغرق فتولى كوكى أمر إنقاذها .

القصة الوحيدة التى صدقتها زوجتى . . لأن كوكى فى رأيها ملاك طاهر لا يكذب !




والإمضاء سين

أنا مريض بالملل العاطفى . لا أستطيع أن أحب امرأة أكثر من شهر حتى ولو كانت ملكة جمال الكرة الأرضية ، واليوم كان اللقاء الأخير مع دوللى التى عرفتها منذ واحد وعشرين يوماً .

سألتنى دوللى : من اللاتى عرفتهن قبلى ؟

قلت لها وأنا أحصى عدد اللواتى عرفتهن فى الشهور الأخيرة : سونيا ونانو ودورا وماجى وطامو وفيفيت وتوتى ولولا وميمى وروكى وريرى ثم أنت ثم فافى .

قالت فى دهشة واستنكار : أتقول فافى بعدى ؟

قلت لها فى هدوء : بعدك يا روحى .

انتفضت دوللى واقفة والتقطت حقيبة يدها من فوق المائدة وانصرفت غاضبة .

الحمد لله . مع السلامة .

مسكينة زوجتى كريمة .

الحقيقة أننا نحن الرجال جنس لا يعاشر ، وسوف تظل النساء جميعاً مسكينات بائسات مادمن مضطرات للزواج من الرجال . كم هى طيبة كريمة ! إنها تحاول بإخلاص أن تصدق كل ما أقوله ، ولكن يبدو أن هذا فوق طاقتها ، فكثيراً ما أرى فى عينيها آثار الدموع . لكن ينبغى ألا أغمط نفسى حقها إذا وضعت فى اعتبارى أننى مريض بالملل ، فأنا إذن بطل لأنى لاأزال صامداً فى زواجى منذ ست سنوات .

من ناحية أخرى أشهد أن كريمة تبذل كل جهد لكى ترضينى ، ومنذ عرفت مثلا أننى أحب صينية الكبيبة وهى تتفنن بين يوم وآخر فى صنعها ، مرة كبيبة بالجوز ، ومرة باللوز ، ومرة بالفستق ، واليوم أعلنت أنها أعدت لى صينية كبيبة باللحم .

مم كانت تصنع كريمة الكبيبة قبل ذلك ؟

. . . .

ذهبت إلى الاجتماع الذى يعقده مجلس إدارة ملاك العمارة . عرفونى اليوم بساكنة جديدة فى عمارتنا : مدام زازا . فى اللحظة التى وقعت فيها عيناى عليها شعرت أنها تخطف قلبى . امرأة رقيقة الجمال ، فيها النضرة والنضج ودفء التجربة . هذا الطراز من الجمال هو الذى عشت عمرى أحلم بلقائه . لا أدرى إن كنت قد لمحت فى عينيها كلمات صامتة موجهة لى ، أم أننى شديد الغرور ومفتون بنفسى . الفرض الثانى هو الأرجح . كان فى صحبتها رجل ثقيل الظل . يتكلم كثيراً فلا تلاحظ أنه يتكلم ، وإذا توقف عن الحديث لا تلاحظ أنه سكت .

مدام زازا استولت على مشاعرى . خمسة أيام مضت على لقائها فى مجلس إدارة العمارة وهى لا تبرح خيالى . اكتشفت أننى سعيد جداً بهذا الخيال !

توصلت إلى فكرة رائعة تجعلنى أحب زازا دون ملل وهى : الغرام عن بعد ! لا أريد أن ألتقى بها أو حتى أحدثها فى التليفون . سوف أكتفى بأن أرسل إليها زهوراً مع كلمات الحب والتوقيع : سين .

الآن لا يعنينى من تكون زازا هذه . حسبى أنها كائن جميل . بل إن الغرام عن بعد يجعل منها مخلوقاً أسطورياً غير كل البشر .

نفذت الفكرة وأرسلت أول باقة زهور إلى زازا ومعها كلمات تقول : إن حنينى إليك لا ينتهى . الآن أعرف أن آلام الحب أحلى بكثير فعلاً من كل متع الحياة : سين .

. . . .

أرسلت باقة الزهور الثانية ومعها : أى سر فيك يا أغلى أسرارى ؟

لا أدرى : سين .

. . . .

عثرت كريمة فى جيب سترتى ـ بالمصادفة ـ على ورقة بخط يدى مكتوب فيها زازا وأمام الاسم رقم تليفون . كانت الورقة فى جيبى منذ رأيت زازا لأول مرة فى الاجتماع الشهرى .

ولم تحاول كريمة أن تجرب التليفون لأنها لا تعرف أننى قد اعتدت أن أغير وضع الرقمين الأخيرين فى نوتة التليفونات الخاصة تحسباً لوقوع النوتة فى يدها . وقد سألتنى كريمة عمن تكون زازا .

فقلت لها : إنها كلبة صديق عزيز ، وأن الكلبة عند الطبيب البيطرى فى غرفة الانعاش ، وقد رأيت مجاملة للصديق أن أدون اسم الكلبة ورقم تليفون الطبيب ، ولكن يبدو أننى أخطأت فى تدوين الرقم ، فكلما اتصلت للاطمئنان على الكلبة قالوا النمرة غلط .

واستفسرت كريمة بهدوء ـ كعادتها ـ عما أصاب زازا فقلت باقتضاب . . إنها أمراض الشيخوخة لأن الكلبة طاعنة فى السن .

قالت كريمة بنفس الهدوء : زازا أصبحت فى صحة جيدة والحمد لله .

وكيف عرفت يا كريمة ؟

تكلمت زازا فى التليفون وسألت عنك .

كان رد الفعل الظاهرى عندى ضحكة باعتبار أن ما قالته كريمة نكتة ظريفة ، واستقبلت هى ضحكتى بهدوئها المعهود ، لكني كنت فى الحقيقة مشغولاً بسؤال هام : هل اتصلت بى زازا فعلا ؟ وفجأة أنقذتنى كريمة من حيرتى تسأل : قل لى الحقيقة . . هل هى زازا التى سألت عنك ؟

قلت ضاحكاً : كيف يمكن لكلبة أن تسأل عني وتقول رشيد موجود ؟ ألا تعرفين أن الكلاب لا تستطيع أن تنطق حرف الشين ؟

فى اجتمع مجلس إدارة العمارة راودنى إغراء عنيف فى أن أتحدث إلى زازا خاصة أن الرجل الثقيل لم يكن فى صحبتها ، لكننى قاومت بصعوبة شديدة لو أننى اقتربت من هذه المرأة فلن تلبث أيامى أن

تصبح مللاً وضيقاً وبحثاً عن امرأة جديدة . إننى أظل أعدو لاهثاً وراء الأمنية حتى إذا أدركتها ألقيت بها جانباً وتأهبت للجرى وراء أمنية جديدة . فامتلاك المرغوب يشعرنى بالزهد فيه . . إننى سعيد حقاً بأن ألهث جارياً خلف زازا دون أن أمسك بها . فأنا أحيا معها فى خيال مدهش ومثير ، أتصور المكان الذى ألتقى بها فيه عند حافة البحر تحت النخيل . آخذ يدها الرقيقة بين يدى وأنشق عطرها وأسمع الكلمات التى نتهامسها .

وأمس الأول دخلت كريمة غرفة مكتبى فوجدتنى أحتضن الهواء وأهمس باسم زازا . وعندما تنبهت إليها أنزلت ذراعى وابتسمت دون أن أعرف ماذا أقول ، فبادرتنى هى قائلة : واضح أنك تحب زازا .

قلت ضاحكاً : بل أنا لا أحب إلا أنت والكبيبة .

لقد كنت فى البداية أخجل بينى وبين نفسى عندما تكتشف كريمة أننى ألعب خارج البيت ، لكننى استطعت أن أتغلب على هذا الخجل .

. . . .

أرسلت باقة زهور اليوم إلى زازا مع هذه الكلمات : سأظل أحبك دائماً . إن ستندال يقول : الحب بئر يرتوي منها الإنسان بقدر ما يضع فيها من حب ، وبئرى لن تنضب أبداً يا حبيبتى : سين .

. . . .

يبدو أن أمرى انكشف عند زازا . هل عرفت من أحد باعة الزهور أننى صاحب الباقة التى تصلها بين يوم وآخر ؟ لا أدرى ولكن كان واضحاً تماماً أن نظراتها لى فى الاجتماع توليني اهتماماً خاصاً ، غير أننى تجاهلت هذه النظرات تماماً حتى لا أفسد قصة حبى .

أرسلت إليها باقة زهور ومعها كلمات للتضليل : متى ألتقى بك فأشعر أن الدنيا قد أعطتنى أكثر مما ينبغى !

. . . .

تأكد لى أن نظرات زازا كانت ملحوظة تماماً . فقد قال لى جارى رشدى وهو يغمز بعينه : إن مدام زازا تهتم بى اهتماماً خاصاً .

أنكرت ما يزعمه .

. . . .

التقيت برشدى فى المصعد . ألقى فى أعماقى بقنبلة لايزال انفجارها يدوى . قال : إن زهيرة علوى ـ زازا ـ لها ماض مرعب وينبغى أن أحترس منها ، إذ يقال إنها قتلت صديقاً لها غيرة عليه وشوهت وجه صديق آخر بماء النار .

ابتلعت ريقى بصعوبة أسأله : معقول ؟

لم أنم الليل .

. . . .

حدث دراماتيكى هام .

اتصلت بى مدام زازا فى مكتبى وبدأت تحدثنى عن خطة جديدة وضعتها لصيانة مرافق العمارة .

كان صوتها عذباً رقيقاً أشبه بخدر يسرى فى كيانى . أفقت على عبارتها التى تقول : هل تتفضل بشرب فنجان شاى معى ونبحث فى التفاصيل أكثر ؟

وجدتنى أعتذر تلقائيا ، بل كنت جلفاً فلم أعتن حتى باختيار ألفاظ الاعتذار اللبقة . وضعت السماعة ورحت أحدق فى التليفون كالأبله .

ما الذى حملنى على هذا التصرف ؟؟ على أية حال هذا أفضل . هل هو أفضل حقاً ؟ لا أدرى . كل ما أعرفه أننى أريد أن أحب هذه المرأة الجميلة فى خيالى فقط .

. . . .

التقيت فى النادى بالدكتور عمر سامى الذى أرشدنى إلى عمارة شقيقه فاشتريت مسكنى فيها . دار الحديث حول زهيرة علوى التى اشترت فيلا فى البناية ، فقال الدكتور عمر : إن زهيرة قتلت صديقها بسبب الغيرة ، وتعرض صديق آخر لتشويه وجهه بحامض الأيدروكلوريك .

سرت رعدة فى جسمى ، الخبر إذن صحيح .

قلت له : متى حدث هذا ؟

قال : منذ سنوات قتلت الأول فى إيطاليا ولم تثبت عليها التهمة ، وأصيب الثانى بحروق شديدة سافر بعدها إلى أمريكا للعلاج ولم يعد . فقد توعدته بالقتل .

هل هذا معقول ؟

. . . .

توقفت عن إرسال الزهور ، لكنى لم أكف عن حب زازا . أشعر باضطراب نفسى شديد ولا أستطيع أن أحدد موقفى أو خططى تجاه زازا .

. . . .

مفاجأة مذهلة .

اتصلت بى زازا فى المكتب وسألتنى : لماذا لم تعد ترسل لى زهوراً ؟ أين كلماتك الحلوة ؟

أصابنى خرس عظيم وجاء صوتها ينادينى يا أستاذ رشيد آلو .

قلت : نعم .

قالت : أين أنت . . أريد أن أسألك : هل حقاً تكن لى هذه العواطف الجميلة ؟

لست أذكر ما قلت لكننى على وجه اليقين كنت أبله الكلمات .

. . . .

عاودت زازا الاتصال بى . قالت فى دهشة : أسبوع بلا زهور وبلا كلمة حلوة من كلامك ؟ لابد أنك أحببت امرأة أخرى ثم ضحكت قائلة : سأغار .

تغار ؟؟

يا للمصيبة السوداء .

. . . .

اتصلت بى زازا . أصدرت تعليمات بأن يقال لها إننى غير موجود .

. . . .

التقيت بزازا فى المصعد . . حيتنى برقة فرددت التحية بارتباك شديد . فتحت شنطة يدها فخيل إلى أنها سوف تخرج مسدساً أو

حامض أيدروكلوريك . صرخت فيها : أرجوك يا مدام اعقلى . اندهشت زازا كثيراً وقد توقفت يدها عن البحث داخل الشنطة . كنت قد ضغطت زراً فوقف المصعد ، وما إن انفتح الباب حتى أطلقت ساقى للريح فوق الدرج .

. . . .

أصبحت أصعد إلى شقتى فى الدور التاسع على السلم حتى لا ألتقى بزازا .

. . . .

عدت إلى البيت لأجد كريمة تبكى قالت لى : إن زازا زارتها للتعارف ولتعرض عليها مشروع صيانة مرافق العمارة . اختنق صوت كريمة وهى تقول لى : لا يصح أن تصل المسائل إلى هذا الحد فتأتى زازا فى بيتى . أقسمت لكريمة أننى لم أكن فى يوم من الأيام مخلصاً لها مثلما أنا فى إخلاص اليوم . هدأت من روعها وقلت لها ضاحكاً : إننى لا أحب فى هذه الدنيا إلا هى والكبيبة .

★ ★ ★

لم يكمل رشيد مذكراته فقد مات مسموماً بصينية كبيبة .

★ ★ ★

الفهـــرس

رقم الإيداع ٤٩٦٠ / ٩٧
الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 08 - 0331 - 6

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم